نجيب محفوظ بعد جائزة نوبل ، هو نفسه نجيب محفوظ قبل جائزة نوبل . . الشخصية ، الحياة اليومية، المسكن والملبس ، المأكولات والمشروبات ، نوع السجائر ، النظارات والساعات ، الأوراق والأقلام ، الأطباء والأدوية ، الزملاء والأصدقاء ، المقاهى والكازينوهات ، السير فى الصباح والمساء ، القاهرة والإسكندرية . .

صحيح أن أشياء اختفت أو تراجعت ، وأشياء أخرى ظهرت أو أضيفت فى حياة نجيب محفوظ . . ولكن هل هى طارئة أو عابرة نتيجة لجائزة نوبل ؟ وإلى متى ؟ .

لقد اختفت أو كادت عادة القراءة اليومية ، فيما عدا الصحف والمجلات ، كما اختفت أو كادت عادة الكتابة اليومية ، فيما عدا « وجهة نظر » الأسبوعية التى تنشر صباح كل خميس بجريدة الأهرام . .

وظهرت بكثافة أضواء وكاميرات السينما

والتليفزيون، ومسجلات الإذاعة والصحافة ووكالات الأنباء ، كما زادت اللقاءات والمقابلات والأحاديث والتصريحات ، وأضيفت مسئولية الرد على الرسائل والبرقيات والتلكسات ، سواء كانت تهانئَ أو عقودًا أو دعوات ، وكذلك التوقيع على صورته الفوتوغرافية ، أو صور الراغبين الشخصية ، أو البطاقات المرسلة .

وكثيرًا ما حدث ويحدث وضع عُملة ورقية من فئة الدولار أو الإسترليني فى المظروفات مصحوبة بطلب التوقيع كمصروفات بريد ، فيوقع عليها نجيب محفوظ ويعيدها إلى طالب التوقيع .

ولهذا يقول نجيب محفوظ : « لقد أصبحت موظفاً عند نوبل » أو جائزة نوبل ، أومؤسسة نوبل .

ولم تكن كل التوقعات تنتظر كل هذا الكم الهائل من الاهتمام العالمى على مدى هذه الفترة الزمنية الطويلة ، منذ إعلان فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل فى الثالث عشر من أكتوبر سنة ١٩٨٨ .

إن ما حدث قد فاق كل التوقعات التى لم تعد تقدر على تحديد وقت انتهاء أو انخفاض هذه الموجة الجارفة من الاهتمام ، هل هو قبل أو مع إعلان اسم الفائز الجديد ؟! . . أم ترى يستمر هذا الاهتمام حتى

بعد إعلان اسم الفائز الجديد ؟! وبالتالى هل تختفى العادات الطارئة ؟! أم أنها أصبحت جزءًا لا يتجزأ من عادات نجيب محفوظ الأصيلة ؟! وهل يعود نجيب محفوظ إلى القراءة والكتابة بالقدر نفسه كما كان ذلك قبل حصوله على جائزة نوبل ؟!

أسئلة لايمكن الإجابة عنها .

أما أسرة نجيب محفوظ الصغيرة : زوجته وابنتاه ، فيمكن التأكيد على أنها « أسرة ضد الأضواء »، وعلى أن واحدة منهن لم تتغير شخصيتها وعاداتها ، برغم تدفق الموجات الرسمية والإعلامية الأولى على البيت الصغير المطل على النيل ، ربما بفضل مبادرة « الأهرام» بنقل مركز الثقل إلى « قاعة توفيق الحكيم » التى تحمل رقم ٦٠٦ ببرج الأهرام ـ الدور السادس ، والتى لم تفتح بعد رحيل الحكيم إلا لنجيب محفوظ ، الذى أصر منذ اللحظة الأولى على الجلوس على الكنبة الطويلة فى مواجهة مكتب الحكيم .

أما الاهتمام الذى فاق كل التوقعات فيرجع إلى أن نجيب محفوظ هو أول أديب يكتب باللغة العربية ويفوز بجائزة نوبل العالمية بعد ٨٨ عاماً من بداية منح الجائزة سنوياً، فقد بدأت عام ١٩٠١ ، فيما عدا

السنوات التى لم تمنح فيها الجائزة نتيجة لاندلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وبعد ٨٤ أديباً فازوا بها كاملة أو مناصفة . . هذا فضلاً عن أنه أول أديب عربى يفوز بهذه الجائزة بعد فوز الإفريقى سونيكا ، فقد حظيت القارات الأخرى بنصيب الأسد من جوائز نوبل المختلفة .

كذلك فإن عربياً واحدًا لم يفز قبل نجيب محفوظ بأىٍّ من جوائز نوبل العالمية الأدبية والعلمية ، فيما عدا نصف جائزة السلام التى فاز بها الرئيس أنور السادات .

وأخيرًا فإن نجيب محفوظ قد فاز وحده بجائزة ١٩٨٨ برغم الأسماء اللامعة التى كانت مرشحة معه، و المنافسة التى اشتدت فى التصفية النهائية .

ولا بد من ذكر سبب جوهرى يتمثل فى أن نجيب محفوظ لايختلف حوله اثنان فى الداخل والخارج من ناحية ، وأنه الأجدر من ناحية أخرى ، خاصة فى عدم وجود العقاد وطه حسين من ناحية ، وتوفيق الحكيم من ناحية أخرى ، وإلا أصبح الوضع غاية فى الحرج لمؤسسة نوبل ، ولنجيب محفوظ نفسه ، وللجميع أيضاً .

ولابد من ذكر سبب آخر هو الذى شجع على هذا الاهتمام الشديد ، ويتمثل فى شخصية نجيب محفوظ ذاتها ،فمنذ إعلان نبأ الفوز و هو يرحب بكل أجهزة الإعلام ، فلم يختف عن الأنظار ، ولم يردّ أحدًا، ولم يملّ الأحاديث ، بل استجاب لتنظيم العملية الإعلامية ، وحرص على الالتزام بهذا التنظيم وتقديره ، فيما عدا الذهاب بنفسه إلى «ستوكهولم» لتسلم الجائزة ، وتلبية الدعوات خارج مصر . .

نجيب محفوظ قبل فوزه بجائزة نوبل كان يحظى على مستوى الوطن العربى بالتقدير الذى يستحقه ، وكانت أعماله تنشر خارج مصر فى أكثر من بلد عربى، فى حين أنه على مستوى العالم لم يكن اسم نجيب محفوظ معروفاً إلا فى الأوساط الثقافية ، نتيجة لترجمة بعض أعماله إلى عدد من اللغات ، وأهمها : الفرنسية ، والإنجليزية ، والإيطالية ، والأسبانية ، والألمانية ، والروسية ، والصينية ، والسويدية .

وبعد فوزه بجائزة نوبل أصبح نجيب محفوظ يحظى على مستوى العالم بمزيد من التقدير ، وارتفعت نسبة توزيع كتبه وكمية المطبوع منها ، سواء باللغة العربية أو بمعظم لغات العالم ، ولم تعد تُطبع وتُنشر فى مصر وحدها ، بل فى لبنان ، والعراق وسوريا والأردن ،

والجزائر وتونس ، والمغرب ، وفى مناطق كثيرة من العالم ، مضافة إلى الدول التى ذكرناها من قبل .

وكما عرفت أعمال نجيب محفوظ طريقها إلى المسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون فى الوطن العربى قبل فوزه بجائزة نوبل ، بدأت تزحف بعد فوزه بجائزة نوبل إلى إذاعات وتليفزيونات العالم ، بل وتم الاتفاق بالفعل على إنتاج بعض أعماله فى السينما العالمية ، وتقديم بعضها على مسارح العواصم الهامة .

وبعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، بدأت دور النشر العربية فى تقديم بعض أعماله بشكل مبسط مزود بالصور والرسومات للشباب والأطفال .

ولكن حتى هذه اللحظة لم تكن دور النشر العربية والعالمية قد فكرت فى نشر مقالاته الطويلة أو القصيرة .

ووقعت الواقعة . .

صحيح أن جائزة نوبل العالمية فى الآداب لم تكن وساماً على صدر الكاتب المصرى الكبير نجيب محفوظ فحسب ، ولكنها كانت وسامًا على صدر مصر والوطن العربى كله . .وصحيح أيضاً أن طعنة السكين الغادرة قد انغرست فى عُنق الكاتب الكبير كما

انغرست فى عُنق كل مواطن صالح على أرض الكنانة ، وكل إنسان شريف فى العالم أجمع . وإنْ كانت الجائزة قد حققت كل أهدافها فى رفع راية العروبة واسم مصر، فإن الطعنة لم تحقق أى هدف ، فقد نَجَّى الله الرجل وأنعم عليه بالشفاء، وأكرمه بمواصلة العطاء ، وطمأن قلوب أهله وأصدقائه ومحبيه ومواطنيه والمدافعين عن حق الحياة وحق الرأى ، المناضلين ضد التطرف والإرهاب .

لقد تحولت الطعنة الغادرة إلى جائزة أكبر ، ووسام أرفع ، وصفحة ناصعة ، ليس فى تاريخ الرجل وحده، بل فى تاريخ الأمة أيضًا ، بعد أن حاولت الأيدى القذرة تحويل التكريم المشرف إلى تجريم آثم ، وقلب الإشادة الكريمة إلى إدانة دنسة ، وتغيير الأمان الهادئ إلى غدر هادر ، واستبدال الحرية المطلقة بالحركة المقيدة ، ولكن إرادة الله كانت أقوى ، وسيف العدل كان أمْضَى ، وشجاعة الرجل كانت أصلب ، وحب الناس كان أرحم ، هذا الحب الذى كسر السكين وقبض على اليد المخضبة بالدماء ، وتضرع إلى الله العلى القدير أن يلطف بشيخوخة الرجل الطيب وبجسده النحيل ، حتى تظل يده ممدودة لمصافحة الجميع ، وهامته مرفوعة فى ظل الجميع .

وهذه المجموعة من الكتب هى باكورة منشورات الدار المصرية اللبنانية الخاصة بإنتاج نجيب محفوظ من المقالات ، بعد أن اقتنع صاحب الدار الأستاذ محمد رشاد بالفكرة ، وأقبل على تنفيذ المشروع بترحيب من نجيب محفوظ . . وهى مقالات كتبها نجيب محفوظ قبل حصوله على جائزة نوبل ـ من عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٨٧ ـ على أمل نشر مقالاته السابقة على تلك الحقبة، ومنذ الأربعينيات وحتى الآن !

هكذا فكرت ونقبت واخترت وأعددت هذه المقالات فى ثلاثة كتب أولاً ، هى : « الدين والديمقراطية » ، و « الشباب والحرية » ، و « الثقافة والتعليم » ، لتكون البداية ، بعد أن أضاف نجيب محفوظ إلى كل منها كلمة « حول » ، تعبيرًا عن تواضعه المعهود .

وهكذا تحققت تلك الفكرة ، وظهرت تلك المقالات إلى النور . .

وهذه المجموعة الجديدة من الكتب التى تضم وجهة نظر كاتبنا الكبير نجيب محفوظ تبدأ قبيل حصوله على جائزة نوبل فى أكتوبر عام ١٩٨٨ ،وتنتهى مع الطعنة الغادرة فى أكتوبر ١٩٩٤

. . وتتكون من خمسة كتب ، هى : « حول التدين والتطرف » ، و « حول العدل والعدالة »، و « حول التحرر والتقدم »، و « حول العلم والعمل » ، و«حول العرب والعروبة » . .

إنها بحق حوليات نجيب محفوظ التى نرجو ونأمل أن تستمر فى الصدور حتى تستوعب كل ماكتبه الكاتب الكبير من وجهات نظر وآراء مختلفة ، بعد أن ظلت كتبه مقصورة على إنتاجه الروائى والقصصى والمسرحى، دون مقالاته ذات المستوى الرفيع الذى لا يقل بأى حال عن مستوى أعماله الإبداعية الشهيرة . . عندئذ يحق لنا أن نتوجه بالشكر والتقدير لناشرنا المثقف محمد رشاد الذى تحمس لهذا المشروع القومى الكبير ، كما توجهنا إليه بالشكر والتقدير عند بداية تنفيذ هذا المشروع .

والثقة كل الثقة ، فى أن تحظى هذه الكتب بالتقدير والانتشار اللذين تحظى بهما أعمال نجيب محفوظ الروائية والقصصية والمسرحية . . والثقة كل الثقة ، فى أن تترجم هى أيضاً إلى معظم لغات العالم ، بل كل لغات العالم . . والله هو الموفق دائماً !

فتحى العشرى

حقيقة سليمان خاطر

ظهر سليمان خاطر فى حياتنا ليكشفها ، وإنْ لم تكن فى حاجة إلى كاشف ، ولولا التواء بنَائِنَا وتهلهله لَمَا كان الرجل إلا خبرًا من أخبار الحوادث المفجعة يهز النفس يومًا ثم يتلاشى فى زحمة الأحداث ، فثمة جريمة على الحدود يتناولها التحقيق ويقضى فيها القضاء بما هو قاضٍ، وعند ذلك تتكشفُ الملابسات والدوافع ، وتنجلى الحقيقة ، فيعرفها كل مواطن بدون حاجة إلى تأويل أو اجتهاد ، أمَّا ما حدث فى واقعنا فهو ما يدعو للذهول والعجب ، فقد تفجَّر الخلاف حول الرجل وفعله بصورة لا تَرِدُ عادة إلا حول المشكلات الميتافيزيقية المعقدة ، فهو إنسان غيرُ سَوِيٍّ ، قُتِلَ بدون أن يدرى كيف قُتل ، وقيل : بل هو حارس أمين تصدى للدفاع عن الحدود ، وثالث يقول : إنه بطل وطنى تحدى الاستفزاز الإسرائيلى ، ورابع يعلن أنه مجاهد إسلامى رفع راية الإسلام . وعن نهايته الأسيفة يقول البعض : إنه انتحر، ويؤكد آخرون أنه قُتل ، ويعتقد غير هؤلاء وأولئك أنه سِيق إلى الانتحار ، وقد خرجتُ من الضجة المثارة بنتيجتين :

الأولى : أننا نعيش فى جو يفتقد الصدق والثقة ويسبح فى ظلمات مُدلهمَّة . جو انتزع منه أساس التفاهم والمنطق الذى يجب أنْ يقومَ حَد أدْنَى منه بين الناس مهما اختلفت آراؤهم .

الثانية : أن شعبنا قد تلقى ضربات موجعة لم يكن يتوقعها ولا يتصورها ، جرحت كبرياءه فى صميمها ، فبات ملهوفاً على تضميد جرحه واستعادة توازنه ، فلما أن نادى قومٌ ببطولة الجندى تعلقت به الأفئدة ، والتمست فيها بعض الشفاء مما تعانى من قهر ، فها هو ذا بطل يرد بعد أن وقفت دول الرفض والتصدى تتفرج على غزو لبنان والإغارة على تونس .

وهكذا فالجندى الراحل لم يكن رجلاً ، ولكنه كان ظاهرة أراد بها الحكيم العليم أن يذكرنا بأنفسنا وبحياتنا ، وعلينا أن نبادر إلى تنقية جونا من السموم الهائمة فيه قبل أنْ يُبعث سليمان خاطر من قبره ويصوب مدفعه نحونا هذه المرة .

٢٣ / ١/ ١٩٨٦

حول ترشيد الديمقراطية

فليوفقنا الله إلى التكيف مع الديمقراطية بلا عناء ، ومعاشرة الحرية بلا تذمر ، والتعامل مع الرأى الآخر بلا حنق . وعلم الله أنه ليس أحب إلينا من الموضوعية فى الكتابة ، بل إن جسامة المشكلات وخطورة المواقف لَـمِـمَّـا يدعو إلى المزيد من الموضوعية والجدية ، وتجنب المهاترات والتطاول . ولكن علينا أن نتذكر أن لكل شعب طبعه وحظه من العقلانية أو الانفعالية ، وأن نواجه الواقع بما يناسبه من الإدراك والتسامح . وفضلا عن ذلك كله ففى القانون العام ما يحمى الأعراض ، ويحفظ حق الأبرياء ، ويحاسب كل مخطىء على خطئه . وشد ما يسوؤنى أن يقترن نقد أسلوب الحوار بنقد غير مباشر للديمقراطية نفسها . فكأننا نضن بنعمتها علينا ، أو نوحى بانضباط جديد لها .

كلا ياسادة ، إن نقد أسلوب الحوار مقبول على العين والرأس كعنصر من عناصر الحرية ، فضلاً عن أن الحوار مهما اشتط او انحرف أو عنف فلا يُقارن بحالٍ بأقل هَناتِ الديكتاتورية ، فضلاً عن كبائرها من الهزائم والفساد والفتك بحقوق الإنسان .

ولعله مما يخفف من وقع بعض أساليب الحوار عندنا أن نذكر أساليب الممارسة الديمقراطية فى بلاد الديمقراطية العريقة ، وما يصاحبها من

حرية مذهلة فى النقد والفكر والسلوك ، وشتى وسائل الاحتجاج والإعراب عن الرأى ، وما يجرى مجرى التقديس من احترام حقوق الإنسان ، مِمَّا يعتبر مجتمعنا بالقياس إليها آية فى الانضباط والتزمت ، وأحيانًا فى التأخر . وعلينا أخيرًا أن نذكر أن ما نعانيه من أزمات فى الاقتصاد والهياكل الأساسية والديون والانحلال والتسيب واللامبالاة ما هو إلا الثمرة المرة الحتمية لتجاوزات ديكتاتورية ، وأن تجاوزات الديمقراطية بالقياس إليها تعد لهوًا ولعبًا . وعلى أى حال فنحن نأمل لديمقراطيتنا كمال الحرية والرشاد .

١٩٨٦ / ٢ / ١٣

اشتدى أزمة .. تنفرجى

يبدو أننا مقبلون على شدة جديدة فى حياتنا الاقتصادية . . هذا ما أنذرنا به مسئول فى سياق تعليقه على ما يهدد سوق البترول من انهيار . وهذه الشدة القادمة تقتضى بطبيعة الحال مزيدًا من الانضباط ، وتطالب المواطنين بمزيد من الصبر ، فكيف يمكن أن نواجه التحديات ـ قديمها وحديثها ـ مواجهة جديرة بأمة متحضرة ؟ كتمهيد أوّلى أقول للمعارضة : إنَّ عليها أن تنظر إلى الشدة باعتبارها محنة وطنية عامة تدعوها إلى التفكير والعمل للإنقاذ ودفع البلاء ، لا للمزايدة أو إثارة الخواطر ، أو إحراج الخصوم ، ولَدَىَّ من الثقة فى وطنيتها وحكمتها ما يؤهلنى لتوقع الخير كل الخير منها .

ومن الناحية الأخرى فعلى الحكومة أن تبدأ بنفسها لتقنع الناس بجديتها ، ولتكون لهم قدوة حسنة ، فتضغط مصروفاتها إلى أقصى حد ممكن ، وتقضى على جميع مظاهر البذخ والإسراف . وعليها أن تضاعف جهدها فى تحصيل أموالها ، وتنشيط جهازها الضرائبى ليعمل بالصدق والنزاهة المطلوبين ، وعليها أن تجدد قطاعها العام وتحرره من العوائق ، وتراقب قياداته ، وتدفعه للإنتاج بالحوافز للمجدين والجزاءات للمنحرفين ، وعند ذاك فقط يحق لها إعادة النظر فى الدعم أو رفع أسعار

بَعض السلع ، مع عدم المساس بذوى الدخل المحدود العاجزين عن تقديم أى تضحيات جديدة .

وقد يكون من وسائل المواجهة الشاملة أن تضم إلى الوزارة وزراء جُددًا من المعارضة ، كوزراء دولة ، ليشتركوا اشتراكًا مباشرًا فى حمل المسئولية . وأن يشمل الائتلاف الأحزاب التى ليس لها ممثلون فى مجلس الشعب ، بل حتى الأحزاب التى لم تحصل بعد على شرعية وجودها ، فلعل الموقف أكبر من الشكليات جميعًا ، خاصة أنه لن ينبنى عليه إسكات صوت معارض ، فحتى نواب الأغلبية يعارضون أحيانًا بدون أن يطعن ذلك فى حزبيتهم . . إذا كانت الشدة تتفاقم فلا أقل من أن نتكتل فى مواجهتها .

١٩٨٦ / ٢ / ٢٠

معركة عنيفة

ليس الوطن الفاسد من يموج بآلافِ الفاسدين ، ولكنه مَنْ يتهاون مع فاسد واحد . لم ألمس فرحة فى صدر من أخالط من المواطنين مثلما لمستها فى أعقاب سقوط من سَقَطَ من المنحرفين فى قبضة العدالة ، فرحة حقيقية لا أذكر لها نظيراً إلا يوم نصر العبور ، أقرر هذا لا شماته فى أحد، ولا تشفيًا من قوم نهشوا لحم الكنانة وهى تجاهد تحديات لم تجابه بمثلها من قبل ، ولكن استبشارًا بالعدل الذى هو أساس المُلْك، وتطلعًا إلى الطمأنينة التى لا تستقر إلاَّ فى عهد النقاء المضىء ، وأملاً فى حوز إدارة قادرة نظيفة يمكنها أن تقتحم بنجاح عباب الأزمات والمصاعب ، لذلك يجب أن تمضى هذه الحركة المباركة حتى نهايتها المنشودة ، ولن تنتهى حتى تقطع كل يد امتدت بسوء إلى مسيرتنا ودفعت بنا إلى المأزق الذى نكافح للخروج منه .

كان الشعب يعانى وهم بنجوة يتفرجون ، وبثمار جرائمهم يتمتعون، واليوم يستعيد الشعب إيمانه بنفسه وهو يراهم فى الحديد ، ويستمد من ذلك قوة تنعش روحه ، وتشد من عزيمته ، وتسدد خُطاه ، وتدعوه إلى الانتماء والعمل ، اليوم يعتدل الميزان ويصبح للحياة معنى ، وتتردد فى نفوسنا الآيتان الكريمتان : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره* ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره** ﴾ .

وجديربنا ونحن نتابع هذه الوثبة فى سموها أن نجدد الولاء للرئيس مبارك ، ونزداد ثقة فى رجال القانون ورجال الأمن ، فالنجاة لا تُناط برجال الهندسة والاقتصاد والثقافة فحسب ، ولكن لا جدوى من الهندسة والاقتصاد والثقافة إنْ لم يدعمها القانون والأمن، وموازين الثواب والعقاب ، وعطر الحياة الأخلاقية التى أمرنا بها الله ، ومن أجلها أرسل المرسلين مبشرين ومنذرين ، وجعل لهذه الحياة الحائرة المحيرة معنًى يلوذ به القلب فى معركته الأبدية .

١٩٨٦ / ٢ / ٢٧

الوصايا الخمس

وقعت واقعة زلزلت جوانحنا ، أحصى قوم خسائرها وهم صادقون ، ونوّه قوم بأرباحها وهم صادقون أيضًا ، آنَ لنا أنْ نواجه عواقبها ، وأنْ نمضى فى ذلك بكل عزم وبصيرة .

أولاً : يجب أن نجلو الغموض عمّا وقع ، أن نعرف حقيقة ما ظهر منها وما بطن ، وأن نحدد المسئولية فيه بدون مواربة أو خداع للنفس ، وأن ننقض على الداء فى مكمنه بعد أن احتوينا عرضًا من أعراضة ، وأن نستثمر ذلك الإنذار المخيف الذى دهمنا ونحن فى غفلة لا عذر لها ولا اعتذار عنها إلا بالتفكير والعمل .

ثانيًا : أن نعيد النظر فى الموازنة لتعويض الخسائر الطارئة ، ولمعالجة انتكاسات الأزمة القديمة ، وسد الثغرات بما تقتضية من ضغط للمصروفات ، ودأب على تحصيل الضرائب ، ومضاعفة للعمل ، وفرض واجبات وطنية جديدة على القادرين منا ، ثم ما ينبغى أن يصاحب ذلك كله من صبر وتصبر وتقشف وتضامن خليق بالرجال وهم يخوضون المحن .

ثالثًا : أن نخطو خطوات حاسمة نحو ترسيخ الديمقراطية ، وتدعيم سلطة الشعب ورقابته بعد أن وضح لكل ذى عينين أن الخطايا

لا تتوالد أسبابها وتستفحل نتائجها ويضل سعيها إلا فى ظلام لا تنوره أضواء الشورى ، أو لا تسوده التربية الديمقراطية الحقيقية .

رابعًا : أن نستمر فى مطاردة المنحرفين بغير هوادة ، ومقاتلة المهربين وتجار السموم والمقصرين ، بعد أن ثبت لكل متامل أنهم مصدر استفزاز وحشى يتفجر فى المُلِمَّاتِ ثورة وجنونًا ، غير مفرق بين عدو وصديق .

خامسًا : أن نلبى نداء الوطنية إلى الاتحاد لنكون صفًّا واحدًا أمام طوفان الحوادث ، وأكرر ما قلته منذ أسابيع من اقتراح تمثيل الأحزاب بوزراء فى الحكومة ، ولا أقصد بذلك مصادرة الآراء المعارضة ، ولكنى أتيح لها فرصة أكبر للانطلاق بعيدًا عن التحرج الحزبى ، أو الاتهام بسوء المقاصد والمزايدة .

فلنتعلم لنعمل والعقبى للعاملين .

٦ / ٣ / ١٩٨٦

التنمية والسلام الاجتماعى

نحن مطالبون اليوم بواجبين جوهريين هما : التنمية الشاملة ، والسلام الاجتماعى . وهما مطلبان متكاملان ، فلا تنمية بغير سلام اجتماعى ، ولا سلام اجتماعى بغير تنمية . ولكن المشكلة أننا لا نملك الإمكانيات التى تحقق الهدفين معًا على المستوى المنشود . فالتنمية تستهلك فائضنا كله ، بالإضافة إلى قروض وإعانات ، والسلام الاجتماعى يقتضى تحقيق قدر من العدالة الاجتماعية تنتفى معه المعاناة ، ويطمئن فى ظله الكادحون ، بل والقادرون ، وفضلا عن ذلك فنحن نتلهف على يوم نكف فيه عن الاقتراض ، ونتمنى أن يحدث ذلك اليوم قبل الغد ، فما العمل لتحقيق هذه الأهداف مجتمعة ودون تأجيل ؟ .

قد ننصح بضغط المصروفات ، وتحصيل الضرائب ، وزيادة الموارد ، بل لم أرَ بأسًا ـ وأنا آسف ـ من تقصير خطوط التنمية ، ولكن ذلك كله ربما لا يبلغنا ما نريد ، فلم يبق إلاَّ أنْ نُطالب القادرين بأداء واجبهم على أَتَمِّ ما يتطلبه الأداء الوطنى ، نطالبهم بأن يكونوا وطنيين اقتصاديين لا اقتصاديين فقط . عليهم أن يستثمروا أموالهم بلا إبطاء . عليهم ألاَّ يتخلوا عن الوطن فى محنته ، وبخاصة أننا لا نطالبهم بالتضحية ، ولكن بالإنتاج والربح الحلال . يجب أن يقوموا بالواجب الأكبر من التنمية

لتتمكن الحكومة من أداء واجبها نحو السلام الاجتماعى ، ويجب أن يستشعروا الحماس والرغبة فى العمل قبل إملاء الشروط والمطالبة بالامتيازات والتسهيلات .

وهذا الخطاب موجه إلى الأغنياء فى مصر والعاملين فى الخارج ، ومن يحفظ مالاً فى أى مكان كان . . لا يجوز أن تعانى أُمَّة وتتعثر فى زمن اكتظت أركانها بالقادرين بدرجة وكثافة لم تعرفهما من قبل . وعليكم أن تبادروا إلى الواجب كما يليق بقوم ينعمون بنعمة الديمقراطية وسيادة القانون . وتذكروا أن أى مواطن مسئول عن أى محنة تنزل بوطنه ، وأن مسئوليته تتناسب ضرورة مع قدرته وإمكانياته . ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره ﴾ .

١٩٨٦ / ٤ / ٢٤

التربيــة الـدينيــة

ماذا نريد من التربية الدينية ؟ نريد منها أن تجسد الدين روحًا، ومبادىء فى الفرد . طبيعى أن نبدأ بتلقين الطفل أركان دينه ، وتعليمه كيف يؤديها ، وعلينا بعد ذلك أن نبث فى وجدانه المبادىء التى ميزت الرسالة ، ومكنت المؤمنين من أن يقيموا للدين دارًا ، وأن يعمروا الدار بالحضارة والثقافة والعلم ، ومن ذلك : مبدأ الشورى فى الحُكم ، وتقديس الإنسان والحرية ، والمساواة بين البشر بدون اعتبار لعنصر أو لون ، والتسامح الدينى ، وخلافة الإنسان لله فى الملكية ، وشروط سلامتها ، والتفكير كفريضة ، والعلم كفريضة ، والعمل كقيمة مفضلة حتى على العبادة والتضامن البشرى فى المجتمع .

هذه المبادىء يجب أن يتكون منها وجدانه عامًا بعد عام ، مؤيدة بالآيات والأحاديث والوقائع التاريخية ، ويجب أن يجرى الامتحان فيها لا على الورق ، أو لا على الورق فحسب ، ولكن من خلال ملاحظته السلوك العام فى المدرسة ، كما ينعكس فى علاقة التلميذ بالتلميذ ، والتلميذ بالمدرسة ، والتلميذ وواجباته ، والعلوم التى يتلقاها . نريد من التربية أن تجسد الدين فى التلميذ قولاً وفعلاً وسلوكًا ورؤية وعلاقات إنسانية . نريد منها أن تخلق لنا جيلاً من المنتمين حقًّا وصدقًا إلى الواجب والعمل والعلم والتفكير وحقوق الإنسان وحقوق المجتمع .

لا يجوز فى أُمة متدينة أن تعرف سلبيات مثل الكسل والتهاون والتسيب والظلم والرشوة والاستغلال والامتيازات ، فإن وجدت فإنما يعنى هذا أنها لا تعرف دينها ، فإن كانت تعرفه فإنما يعنى أنها تعرفه ولا تؤمن به ، فإن كانت تؤمن به فإنما يعنى أن إيمانها ينقصه التطبيق ، وأنها تتهاون فى تعليمه لأبنائها . ليست التربية الدينية حفظًا وتسميعًا وإعرابًا ، ولكنها محاولة صادقة لإعادة خلق الفرد على أسس سامية يصلح بها لمواجهة تحديات عصره ، وتحفظ له التوازن النفسى والعقلى والخُلقى بين ما يبغى فى دنياه ، وما يتطلع إليه فى آخرته .

١٥ / ٥ / ١٩٨٦

حـول المسألـة الأخـلاقيـة

خسارتنا فى الأخلاق فى مقدمة خسائرنا جميعًا . قد تلح علينا ذكريات مرة مثل الديون المتراكمة ، والنمو السكانى الفادح ، وتردى الإدارة ، وتدهور الهياكل الأساسية ، واختلال ميزان الصادر والوارد ، وتعثر الصناعة والزراعة ، فننسى فى غمارها الأخلاق وما اعتراها من فساد ، أو لا نضعها فى موضعها المناسب من جدول السلبيات ، على حين أنها تكمن فى الأساس ، وتنفث سمومها وراء كل سلبية من السلبيات . ولا أقرر ذلك من منطلق يأس ، فإنه لا يغيب عنى الجهد الصادق المبذول للترميم والتجديد والإصلاح ، ولا التخطيط المبنى على العلم والشورى ، المستلهم من الوطنية والإيمان ، ولكنى أعترف بواقع وَأُقِرُّ بحقيقة ، وأنه لا نجاح ولا تقدم بغير أخلاق نقية صلبة ، تمد صاحبها بالعزيمة والإصرار والانتماء والإيثار ، والوفاء للوطن والمواطنين والقيم السامية .

أجل مامن مجتمع يخلو من فساد ، ولكنه يمارس عادة فى هامش محدود يظل معه الكل سليمًا صحيحًا آمنًا . أما مجتمعنا فقد تعرض لآفات شرسة نتيجة لحكم شمولى غاشم ، وحروب طاحنة ، وأزمات اقتصادية ، وإحباطات متلاحقة ، فنسى نفسه وتقاليده النبيلة ، وذهل عن مبادئه ، وتردى فى الانتهازية والأنانية ، وهرول نحو النجاح

الرخيص فى استهتار ماجنٍ ولا مبالاة مخزية ، ولو أنك تقصيت عن أسباب خسائرنا لوجدت أنها ترجع إلى الفساد بمثل ما ترجع إلى سائر الإحباطات . وهكذا أعنا التحديات على أنفسنا بالهزيمة أمام الشهوات، ولن تنفعنا الخطط الخمسية وحدها مالم تؤيدها الشخصية القوية المؤمنة المنتمية المتطلعة إلى الحق والخير والجمال .

ومن حسن الحظ أن الجو قد تهيأ للبعث الأخلاقى بفضل ديمقراطية تحترم حقوق الإنسان ، وقدوة فى القيادة ، هى مثال طيب للطهارة والوطنية ، وأخيرًا وليس آخِرًا بذلك النزوع المبين نحو الدين القويم ، الذى يدل على رغبة حارة فى التفكير والتطهر، وما علينا إلاَّ أن ندعم الجوانب الإيجابية فى استمرارية لا تنقطع ، حتى نرد المواطن إلى أحسن تقويم ، فهو ثروتنا الحقيقية التى نعتمد عليها فى مشوارنا الطويل .

١٩٨٦ / ٥ / ٢٢

قيم صالحة لكل زمان ومكان

حديث اليوم لا جديد فيه ، حديث يعرفه كل مسلم مهما تكن درجته فى ثقافته الدينية ، حديث افْتَنَّ الدعاة والمفكرون فى عرضه ، وتقديم الشواهد على صدقه من القرآن والحديث وأقوال التابعين ، وأفعال الولاة الصالحين . فما هو هذا الحديث ؟

قالوا : إن ركيزة الإيمان ـ وهى شهادة أن لا إله إلا الله ـ تعنى تحرير الإنسان من أى ربقة أو عبودية أو سلطة دنيوية ، فالمسلم حقًّا هو الحر حقًّا الذى لا يستعبده فرد ، أو نظام ، أو شهوة .

وقالوا : إن الإسلام يحث على العلم ، ويُكرم العالم ويؤثره بالفضل والعزة ، فالمسلم حقًّا ينبغى أن يكون عالمًا أو مُحِبًّا للعلم والعلماء .

وقالوا : إن الإسلام يدعو إلى التفكير والتأمل ، ويقدس العقل ، فالمسلم حقًّا هو المفكر ، أو من يتخذ من التفكير نبراسًا وهداية فى حياته .

وقالوا : إن الإسلام يحرص على العمل ، حتى ليفضله على العبادة ، فالمسلم حقًّا هو العامل المجد المخلص لعمله المتقن له .

وقالوا : إن الإسلام يوحد فى رؤيته بين البشر ، لا يفرق بين فرد وآخر

بسبب من عنصر أو لون أو عصبية أو طبقة ، فالمسلم حقًّا من يحترم الإنسان لإنسانيته وقيمه وتقواه وسلوكه .

وقالوا : إن الإسلام يحترم جميع الأديان ، ويهب كل ضمير حريته فى الاختيار ، فلا إكراه فى الدين ، والله يهدى من يشاء ، فالمسلم حقًّا من يُعايش جميع الأديان فى سلام . هكذا يقول الدعاة والمفكرون ، ويقدمون الشواهد من القرآن والسنة والتاريخ .

وكما قلت : فلا يجهل ذلك مسلم مهما كانت درجته فى الاطلاع على دينه ، ولكننا نفتقد تلك القيم فى حياتنا اليومية ، أو لا نجدها بالحضور الذى يجب أن تحظى به بين قوم عُرفوا من قديم بالتدين والتقوى ، وكأنها معارف من الثقافة التى يطلع عليها المطلعون ، ثم يمضون إلى غيرها فى سرور ودعة ولا مبالاة . والحق أنها يجب أن تستقر فى قلوب الأبناء منذ الصغر ، وتجرى مع دمائهم ، وتتردد مع أنفاسهم ، كى تنعكس فى سلوكهم اليومى وتنفرد بآثارها شخصياتهم ، وهذه هى مهمة التربية ورسالتها ، وواجب أولى مما ينبغى أن تضطلع به وزارة التربية ، وأجهزة الإعلام ، والآباء ، وبها يحق لنا أن نقول : إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان .

١٢ / ٦ / ١٩٨٦

نحو خطة أخلاقية

تحدثنا فى الأسبوع الماضى عن هدفنا القومى والجهد المبذول لتحقيقه ، كما تحدثنا عن تجاهل هذا الهدف برغم وضوحه وإنكار الجهد والتشكك فيه ، أو عدم إيفائه حقه من التقبل والحماس ، مع تعليل ذلك بالفساد وسوء الإدارة .

والحق أن المعارضة بدأت نشاطها بالتركيز على هذين الدَّاءَين ، وبخاصة الداء الفاسد . وأعترف بأننى أشفقت من عنف الحملة ، لا تسامحًا مع الفساد ، ولكن خوفًا من أن تتبعثر الجهود ـ التى يجب أن تحتشد لمواجهة التحديات ـ فى معارك جانبية تعتبر على أهميتها ثانوية بالقياس إلى العدو الأول ، وهو التخلف وسوء الحال . ثم هالنى بعد ذلك ما ألمسه عند الشباب من شك وسوء ظن شمل الرجال والأعمال جميعًا ، وهيهات أن تصح لنا خطة أو يثمر عمل بغير تأييد صادق من إيمان الشباب وحماسه وانتمائه ، بدلا من تمزقه بين اللامبالاة من ناحية ، والتطرف والعنف من ناحية أخرى . وإنها لمأساة أن يستمر الحال على ذلك برغم استقرار الديمقراطية بيننا ، وتمتعنا بقيادة وطنية طاهرة تصلح قدوة ومثالا ، فماذا ينقصنا ؟

يجيب على ذلك الشباب قائلا : كيف نطالب بالعمل أمام إدارة تقيم العراقيل ، وتثبط الهمم بالروتين والتعقيد وسوء المعاملة ، وكيف نطالب

بالتضحية فى بلد نهبته قلة بلا رحمة ولا ذمة ، وتلك عقيدة تمكنت من الأنفس بدون حاجة إلى أدلة أو أمثلة ، وهى تشتد رسوخًا كما اشتدت الأزمة حِدَّة ، حتى اقتنعت مع المقتنعين بأنه لا جدوى من العمل إنْ لم يسبقه أو يصاحبه تطهير شامل لا يعفى من قبضته إثمًا قديمًا أو حديثًا ، وأن ذلك هو السبيل حقًّا إلى إقناع الشعب بالجدية ومطالبته بالعمل والتضحية .

ونحن قوم متدينون ، وبمعنى آخر أخلا قيون ، ولا سبيل إلى امتلاك قلوبنا إلا بإشباع حاستنا الأخلاقية ، فنفكر فى الأخلاق بقدر ما نفكر فى إصدار القرارات .

١٩٨٦ / ٧ / ٣

نحو الشاطىء الآخر

إنهما تَوْءَمان : اللامبالاة والتطرف : يَبْدُوَانِ نقيضين ، ولكن تناقضهما الظاهرى ناجم عن خاصية واحدة مشتركة ، هى التطرف . فاللامبالى يقف عند آخر طرف فى خط الانتماء ، كما أن المتطرف يقف فى آخر طرفه الآخر . وبنظرة فى ظروفنا الخاصة نجد أن باعثهما واحد ، هو الفساد ، جر الأول إلى حافة اليأس من كل شىء ، والآخر إلى الغضب على كل شىء، وكلا الموقفين ينحرف عن الصواب ، فاللامبالاة قد تورط صاحبها فى الفساد ، والتطرف كثيراً ما يغرى بالعنف وتخطى القانون ، والنتيجة المؤسفة أن الفساد يعم فيغطى على المفسد والغاضب واللامبالى. وقد ينجو المفسد لعدم كفاية الأدلة أو لشدة حذره، وهو يرتكب جريمته الكاملة ، وكثيراً ما يقع اللامبالى لقلة خبرته ، والمتطرف لتهوره . ولن يجىء الإنقاذ بالوعظ ، ولا حتى بالمناقشة الحرة ، وإن لم تخل من فوائد ، ولكن أولاً وقبل كل شىء بالقضاء على الفساد والمفسدين ، وبالقدوة الحسنة . فعلى الذين ينفقون الجهد والمال فى مراقبة التيارات المضادة ، والتأهب للتصدى لها أن ينفقوا نصف هذا الجهد والمال فى الرقابة اليقظة الساهرة على الإدارة وقنوات العمل فى المصالح والطريق ، ومطاردة المستغلين والشرهين والعابثين بالأقوات . عليهم أن يطهروا الحياة من الشوائب التى تُشَوِّهُ وجهها ،

وتقبح سمعتها ، لترجع الثقة إلى النفوس ، وتعود الروح إلى القلوب ، وليحظى العمل المبذول فى التنمية الشاملة بالتصديق الذى يستحقه ، والتأييد الذى يستأهله ، لكى نصبح بنعمة الطهارة والإخلاص والجدية إخوانًا متعاونين ، ويدًا واحدة أمام تحديات فرضت علينا فى ليل الجهل والعسف والغرور ، ولا محيص عن أن يكفر عنها البرىء بدلا من المجرم ، إذ لابديل عن أن نمضى بالسفينة إلى مرفأ الأمان والسلام .

١٩٨٦ / ٨ / ٧

حسبنا أزمة واحدة

لا نسمع إلا الشكوى ، ولا نرى إلا وجوهًا مكفهرة . ما أكثر العمل المبذول فى تنفيذ التنمية الشاملة ، وما أكثر ما تحقق فى الأعوام القلائل الماضية ، فلماذا لا نسمع إلا الشكوى ، ولا نرى إلا وجوهًا مكفهرة ؟! المسألة بكل بساطة أننا نجتاز عبورًا شاقًّا ، وأننا لن نجنى ثمراته قبل مضى وقت غير قصير ، وأننا مطالبون بالصبر والتصبر ، والتفانى فى العمل قبل بلوغ أولى درجات النجاة .

ولكننا نملك ما نقدمه للمواطن المرهق فى فترة العبور الحرجة بما يخفف من معاناته ، ويشعره بالرعاية والعناية ، ويعينه على الصبر والتصبر ، فتخفت أصوات شكواه ، وتنبسط أسارير وجهه ، بدون أن يكلفنا ذلك اقتراضًا جديدًا ، أو إعانة ، أو الالتجاء إلى خبرة أجنبية باهظة التكاليف .

يمكن أن نحسن معاملة الناس فى الطريق والمصالح ، وحيثما يوجدون ، لطلب خدمة أو منفعة ، أو أداء واجب . هذا حقهم كبشر ومواطنين ، فإذا انتقص منه سوء الطبع أو الخُلق فَلْيُقَوِّم القانونُ والرقابة والحزم ما يتهاون فيه سوء الطبع والخُلق ، ليخلص للمواطن الاحترام والتيسير وحُسن المعاملة .

ويمكن أن نخلق حياة جديدة ، وعلاقات إنسانية مضيئة فى نطاق الميزانية المعتمدة إذا صدقت عزيمتنا على محاربة الإهمال المدمر ، والتسيب القاتل ، مع العناية بالنظافة والخضرة ، والدفاع عن شواطىء النيل ، وتنقية الجو والطريق مما يعرض المارة للأخطار ، وإذا نفذنا عشرات القوانين المهملة .

ويمكن أن نتقدم خطوة أخرى لتطهير الحياة السياسية مما يشوبها من قوانين استثنائية تقيد انطلاقتها ، وتحرم المواطنين من حقهم فى تكوين الأحزاب المعبرة عن مصالحهم . ممكن كما نرى تقديم الكثير للوطن والمواطن بدون إضافة أعباء جديدة للميزانية ، وفى نطاق الواجب اليومى المفروض أن يؤدى بدون جزاء أو شكر ، عند ذاك نعفى المواطن من آلام لا حصر لها ، وبحسبه تحمُّل الصبر الطويل فى ليل العبور الشديد .

١٩٨٦/٩/٢٥

حــوار بالإنجليزيــة

تعليقًا على وجهة نظر (٢٥/ ٩/ ٨٦) التى تطالب بحُسن المعاملة للناس فى مختلف المواقع أرسل إلىّ الدكتور عبد الحميد أبو السبع ، رئيس مجلس إدارة المركز الدولى للتنمية الريفية بمريوط رسالة تأييد ، عبرت بعمق عمّا يجيش به صدره من صدق وحماس . وعلى سبيل المثال الحى ترجم لى نصَّ حوارٍ دار بينه وبين صديق إنجليزى وثيق الصلة بموضوعنا، حدثه الصديق الإنجليزى عن بعض ذكريات أول يوم له فى خدمة الحكومة كموظف ، وكيف استدعاه رئيسه المباشر ليدور بينهما الحوار الآتى :

المدير ـ إنك موظف بدءًا من هذه الساعة ، فهل تعرف ماذا يعنى ذلك؟

الموظف ـ إنه يعنى أننى موظف .

المدير ـ كلا ، إنه يعنى أنك خادمٌ مدنىٌّ ، فهل تعرف ماذا يعنى ذلك ؟

الموظف ـ إنه يعنى أننى خادم مدنى !

المدير ـ كلا ، إنه يعنى أن تضع نفسك فى خدمة كل من يقصد هذه الحجرة من الجمهور .

هذا هو أول درس تلقاه الموظف الجديدمن رئيسه المباشر ، وهو درس يجب أن يعيه كل موظف عند بدء خدمته ، وأن يرسخ فى نفسه وهو يتدرج من درجة إلى درجة حتى يبلغ قمة مسيرته ، فجميع الموظفين قد بوأهم نظام العمل وظائفهم لخدمة الشعب ، والشعب بداية ونهاية هو الذى يستخدمهم ويمنحهم مرتباتهم من كدحه وكَدِّهِ، وانعكاس الآية دليل على فساد الإدارة واختلال ميزان القيم . وهيهات أن تتهيأ لنا إدارة حقيقية إن لم تنهض على أساس مفهومها الصحيح لتؤدى رسالتها الصحيحة .

٢٥ / ١٢ / ١٩٨٦

عالم جديد

لَعَلَّ البشرية فى تاريخها كله لم تكابد ما يكابده هذا الجيل من قلق ووساوس . . بقدر علمه ومعلوماته المتنامية اتسعت رؤيته لآفاق حاضره ومستقبله ، فهو يعرف ما يتهدده من آفات ، ما ظهر منها وما بطن ، ما حدث وما سوف يقع بعد عقد من الزمان أو بعد قرن ، يحصى عدد سكان كوكبه ، وما يفنى أو يبقى من مواده الأولية ، وما يتكاثف فى جوه، أو يترسب فى مائه من تلوث ، وما يصلح لمعاشه من أرضه ، ومالا يصلح .

فى العالم المتقدم الذى نرنو إليه بإعجاب وانبهار معاناة للبطالة ، وخوف من الإبادة ، ورعب من قُوَى كَشَفَ العلم عنها لا غِنَى عنها ، ولا أمانَ لها . وفى العالم المتأخر يتمطى التخلف والمرض ، وتهيم أشباح الديون والإفلاس والفساد ، وتكشر عن أنيابها المجاعة والحروب. صورة فى شمولها كئيبة ، تلطخها ألوان كريهة لسلبيات التقدم والتخلف معًا ، وتتزامن فى فترة تعاونت فيها أسباب التقدم المذهل فى المواصلات ووسائل الإعلام على التقريب بين أطراف العالم ، شماله وجنوبه ، شرقه وغربه ، حتى توشك أن تجعل منه وحدة فى المكان والزمان ، ينفعل بنشاط اقتصادى واحد ، وثقافة سائدة ، وقيم متقاربة . يتلقى الجديد

فى كل آن ، فيتأثر به قبل أن يهضمه ، ويحافظ على توازنه بجهد يائس ، ويخاف على ذاته الضياع .

هذا العالم الجديد يحتاج فى التعامل معه إلى رؤية جديدة ، رؤية شاملة تعتبره عالمًا واحدًا متحد المصالح ، متفقَ المصير ، إنْ فسد فيه عضو تداعت له سائر الأعضاء . ولكن الأقوياء مازالوا سادرين فى سياستهم التقليدية القائمة على الاستغلال والأنانية . العالم فى أمَسِّ الحاجة إلى زعامات رشيدة بعيدة النظر ، متسامية على الغرض ، يحركها حب كبير يتخطى الحدود والقيم البالية . إنه الطوفان من جديد يهدد الجميع بلا تفرقة ، من فى القاع ، ومن فوق التلال ، ومن يعتلى القمم ، ولا نجاة منه إلا بالإيمان بالإنسان والإنسانية ، وقهر الضيق والإنانية .

١٩٨٧ / ١ / ١٥

المؤتمر الإسلامى

ينعقد المؤتمر الإسلامى فى شبه جزيرة تحيط بها دماء المسلمين التى تنزف بغزارة جنونية فى إيران ، والعراق ، ولبنان ، وليبيا ، ولعل انعقاده فى هذه الآونة جاء تلبية لنداء ضميره المعذب من ناحية ، والصحوة الشاملة التى انبعثت فى أطرافه من ناحية أخرى .

فأول ما يرجى منه أن يلتمس الوسيلة إلى إيقاف نزيف الدم ونشر ألوية السلام ، وهى مهمة صعبة ، وأمل عزيز المنال ، ولكن لاغاية تتأبّى أمام الارادة الشاملة إذا ساندتها النوايا الطيبة ، وأضاء سبيلها نور اليقين .

وعليه بعد ذلك أن يشمل جوارحه التى مزقتها المحن بنظرة كلية أخوية ليرى ما تتفق فيه من أصول العقيدة والرؤية ، ليؤكد على الإخاء والتعاون والبر ، لينفى عن جوهرها أسباب الخلاف الزائلة المفتعلة ، ليجعل من ذلك سبيلا إلى تحرر عالمه الضخم من التبعية والتخلف ، وتحطيم القيود التى يرسف فيها ، معتمدًا فى ذلك على استثمار وحدته الثقافية ، وإحياء التبادل الاقتصادى بين بلدانه ، كى يواجه العصر مواجهة قوىٍّ متفتح برىء من العقد ، معتزًّا بتضامنه وأصالته وحريته وعقله واجتهاده ، فيؤدى دورًا كريمًا جديرًا بتاريخه المعروف فى الأخذ والعطاء والمرونة والتسامح .

وعليه بعد ذلك أن يوجة خطابًا للعالم الذى ترهقه أزمات كثيرة من منطلق رسالته الموجهه للناس جميعًا بشيرًا ونذيرًا ، عارضًا كنوز حكمته، وأدوية علاجه ، ورؤيته الإنسانية الشاملة التى كرسته رحمة للعالمين .

قد تتحدى شراسة الواقع طيبات النوايا ، ولكنَّا نؤمن بأن مجرد اجتماعه فى الظروف الراهنة توفيق عاجل ونصر مُؤَجَّل ، وأنه تعبير عمَّا تضطرم به الجوانح من رغبته فى الإخاء والتحرير والتقدم والعمل الصالح .

١٩٨٧/١/٢٢

الإنسان صانع الحضارة

نحن فى حاجة إلى المال ، والمال الكثير ، كى نصلح حالنا ، ونقيم بناءَ هياكلنا الأساسية : الإنتاج ، والخدمات ، كل أولئك فى حاجة إلى المال للإنشاء ، أو التجديد ، أو الترميم ، أو التوسع . ولكن إلقاء نظرة سريعة تكفى لإقناعنا بأن المال ليس وحده ما ينقصنا ، وأننا فى حاجة إلى الإنسان بنفس الدرجة أو أكثر . يلزمنا إنسان يلتزم بالمصلحة العامة بأمانة وإخلاص ونزاهة . قد تقوم نهضة بهذا الإنسان مع مال محدود ، ولكن المال الوفير يعجز عن تحقيق أهدافه بغير هذا الإنسان . الإنسان المتهرىء ينهب المال أو يهدره ، أو يضيعه بالإهمال أو الكسل ، وهو فى شغل عن واجبه بالانحصار فى ذاته، والاستغراق فى شهواته .

فالأزمة هى قبل كل شىء أزمة أخلاقية ، ثمرة مُرَّة للقهر الخارجى ، والقهر الداخلى ، والظلم ، والامتيازات ، والعبث بحقوق الإنسان ، والفقر ، والجهل ، والمرض . لقد أُسِىءَ إليه طويلا ، والآن يرد الإهمال بالإهمال ، والإساءة بالإساءة، فى عملية استهتار أشبه بالانتحار . ولا جدوى من أى تخطيط إنْ لم نضع فى مقدمته العناية المركَّزة بالإنسان ، فى تعليمه وثقافته وصحته ومعاملته ونظام حكمه . يجب أن ننقى جوه من جميع الآفات ليسترد صحته النفسية والروحية ، ويستعيد فتوته ، وعند ذاك يوجد الأساس المكين لكل تقدم أو نهضة ، ويمكن أن نواجه

التحديات بالإرادة البشرية القادرة على قهرها وتذليلها ، وإبداع المفيد والجميل فى شتى المجالات ، من علم وثقافة وسياسة وقيم ، فيصنع بطاقته وحماسته الرخاء ، وما هو أهم من الرخاء ، وهو المجد .

ولعله من التواكل أن نترك هذه المهمة للدولة وحدها ، فما زال الأمل معقودًا بالقلة المبرأة من الفساد ، وقادة الرأى من المثقفين والمخلصين من الأحزاب ، فهم فى مقدمة من يجب أن يهبوا لبث الروح وبعث الهمم فى الشباب ، وتزويده بالرأى والعزيمة ليحطم أغلاله ، ويقهر سلبيته ، فينقذ ذاته ، وينقذ مجتمعه ، ويخلق من الموت حياة جديدة .

١٩٨٧ / ٢ / ٥

كلمة إلى الحائرين

تصرح الحكومة مرارًا وتكرارًا بأنه لم تتسرب إلى البلاد أى أغذية ملوثة، وأنها اتخذت للأمر عُدته كما ينبغى لها ، فى أعقاب احتراق المفاعل الذرى . وتردد المعارضة من ناحية أخرى أنباء تبلغها عن تسرب شحنات ملوثة ، وعن عدم كفاءة أجهزة الكشف ، ونحن بينهما حائرون قلقون ، وتحق لنا الحيرة والقلق لخطورة العواقب وتهديدها للأرواح بدرجة شمولية تهون إلى جانبها أكبر الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية ، والأدهى من ذلك أن معرفة الحقيقة لا تحقق فائدة فيما يتعلق بالنتائج العملية ، فحتى لو تبين لنا صِدْقُ الأنباء السوداء فنحن لا نملك وسيلة طبيَّـة للتخفيف من الإصابة ، ناهيك عن الإبراء منها .

غاية ما تنجزه فى تلك الحال أن تهدينا إلى المجرم ، وتحدد المسئولية العامة ، ومع ذلك فهو فرض واجب وضرورة محتومة ، غير أن الجريمة أكبر من أى عقاب ، ولن يعوضنا إعدام مجرم ، أو استقالة حكومة بأسرها عن جزء يسير من الخسائر المتوقعة .

والحق أنى أقنعت نفسى أخيرًا بتصديق الحكومة ، لا تلهفًا على الطمأنينة بأى ثمن ، وإعفاء النفس من قلق لا يجدى ، ولكن ـ أيضًا ـ لأنى لا أتصور أن يعلم العالم بخطورة احتراق المفاعل ، وأن ترد الأنباء

بمقاطعة دول كثيرة لِوَارِدَاتِ المواقع المشبوهة ، ونقف نحن من ذلك كله موقف المتفرج أو المتراخى ، أو نُشْغَل عن الأحداث المقتحمة بهمومنا اليومية .

لا أستطيع أن أتصور ذلك أبدًا ، فلابد أن الأمر حَظِىَ بأكبر قَدْرٍ من الاهتمام ، وأن الموقف درس من جميع نواحيه ، وأنَّ قرارات حاسمة اتخذت لحماية أرواح الملايين . بذلك تكون الحكومة قد أدت واجبها ، وهو واجب بديهى وأولى ، لا يستحق أى شكر على كماله ، ولا يتصور أى تراخٍ فيه أو تسامح معه . من أجل ذلك قررت أن أصدق ، وأن أُفوض أمرى إلى الله الرحمن الرحيم .

١٢ / ٣ / ١٩٨٧

الداء الدفين

قيل عن الفتنة وحولها كلام كثير صادق وحكيم ، وأَشَارَتْ أصابع الاتهام إلى الحكم المطلق ، والأزمة الاقتصادية ، والتيارات المنحرفة ، والمكائد الخارجية . ولست أنكر قولاً ولا اتهامًا ، ولا أقلل من شأن نصيحة أو علاج ، والله أسأل لنا الاستقامة فى جميع ما نقول ونفعل ، ولكنى أرى أصل الداء كله فيما وراء ذلك ، أعبر عنه بكلمة واحدة هى « المعاملة » . فالوحدة الوطنية شعار بلا مضمون إذا لم تقم على الاحترام الكامل لحقوق الإنسان ، إذا شابتها تفرقة فى المعاملة ظالمة ، إذا قسمت المواطنين إلى فئة من الدرجة الأولى وأخرى من الدرجة الثانية . حق المواطن فى أن يؤدى وظيفته ويخدم أمته فى نطاق إمكانياته وأخلاقه لا يقل قداسة عن حقه فى ممارسة شعائره الدينية ، من أجل ذلك يجب أن يشير أصبع التنبيه إلى الدولة ، بوصفها المسئولة عن إقامة ميزان العدل والمساواة بين أبنائها .

وأقول : إن المعاملة العادلة كفيلة وحدها باحتواء جميع الأزمات والتوترات ، على حين أن التفرقة باعثة على الغربة والقلق وعدم الاستقرار، ولو اختفت جميع الأسباب الأخرى ، ولعل السبب الحقيقى فى التفرقة لا يرجع إلى التعصب كما يبدو ، ولكنه يرجع فى الحقيقة إلى الإدارة الفاسدة التى تكرس الوساطة والمُحاباة ، ورعاية أهل الثقة ، وهى

تظلم عند الإحصاء من المسلمين أضعاف أضعاف من تظلم من الأقباط، ولكن يمكن تفسيرها فى محيط غير المسلمين على أساس طائفى، الوحدة ليست شعارًا ولا شعرًا ولا ذكريات جميلة ، ولكنها قبل كل شىء وبعد كل شىء احترام حقيقى جاد لحقوق الإنسان . والسلام على من اتبع الهدى .

١٢ / ٤ / ١٩٨٧

الوجه الآخر للقمر

قرأتُ إحصاءً يؤكد أن الذين تؤهلهم أعمارهم للانتخاب ضعف المقيدين فى الجداول ، وأن الذين أدوا واجبهم الانتخابى لا يزيدون على نصف المقيدين ، وهذا يعنى أن ثلاثة أرباع الناخبين قد امتنعوا عن أداء واجبهم الانتخابى ، فماذا تقول هذه الظاهرة ؟

ربما وجد بين الممتنعين من يرفض الاشتراك عن وعىٍ بما يفعل ، والتزام بما يرى ، إمَّا لرفضه النظام ، أو يأسه من نزاهة الانتخابات . وبصرف النظر عن مناقشة رأيهم ، فلا يصح اعتبارهم من السلبيين ، وإن اتسم ظاهر موقفهم بالسلبية ، ولعله كان من الأفضل أن يذهبوا إلى صناديق الانتخاب ويسجلوا آراءهم الرافضة . آما الاخرون ـ وأخشى أن يكونوا الأغلبية الساحقة ـ فَهُمْ مَنْ نُطلق عليهم غير المبالين ، الذين لم تشغل لهم المعركة بالاً ، والذين تمر بهم الأحداث فلا تحظى منهم بالتفاتة ، أو يقفون منها موقف المتفرج الساخر ، وكأنهم يعيشون فى عالم خاص بلا مبادىء ، ولا أهداف تحت مستوى السياسة والوعى ، تحكمهم الأنانية ، وتستغرقهم هموم الذات ، ولك أن تفسر موقفهم بسوء التربية الوطنية ، أو بالآثار المدمرة للحُكم الشمولى ، أو بإرهاق الأزمة الاقتصادية ، أو بكل أولئك جميعًا ، ولكنهم فى جميع الأحوال قوة ممثلة للسلبية ، وإمكانيات مدخرة للانحراف ، وعوامل مُعَدَّة للهدم

والتدمير ، وواجبنا أن ننتشلهم من جحورهم بأى وسيلة ، سواء بالتوعية، أو بالإصلاح ، أو بالقدوة ، أو العمل السياسى المتواصل . إنه واجب الزعماء والقادة والمفكرين والمربين ومن يؤدون الخدمات العامة للشعب فى شتى المجالات ، وبيدهم جميعًا أن يضموا تلك القوى المبعثرة إلى جانب البناء والتعمير .

٢١ / ٥ / ١٩٨٧

الإرهاب والاستقرار

كلما وقعت جريمة إرهابية أعلنا بكل وسيلة أنها تنقض على استقرارنا ، وبتكرار ذلك يرسخ فى الأنفس تأثير الإرهاب على الاستقرار، والنتيجة المحتومة لذلك أن يتعرض الاستقرار لخطر الإرهاب ، فنحقق للعدو ما يرمى إليه بأيدينا وصراخنا . كلا يا سادة ، لا يستطيع الإرهاب مهما استفحل أن ينال من بناء الاستقرار الشامخ ، وما الإرهاب إلاّ جريمة من بين آلاف الجرائم التى تُرتكب كل عام ، غاية ما فى الأمر أن السياسة تضفى عليه بريقًا خاصًّا ، وهو قد يحدث فرقعة أو يثير إثارة، ولكنه أعجز من أن ينال من استقرار مجتمع مستقر ، فلنقاومه بكل الوسائل المشروعة ، ولكن لا يصح أن نهون من أثره أو نغالى فى تقدير خطره .

لن يتوقف العمل لحظة ، ولن تتوقف التنمية لفرقعة أو انفجار ، ولا يجوز أن نبكى الاستقرار أو نندبه . الاستقرار الذى تقلقله جريمة وَهْمٌ لا استقرار ، الاستقرار حضارة ، الاستقرار سيادة قانون ، الاستقرار احترام لحقوق الإنسان ، الاستقرار عمل وإنتاج ، وطهارة ، وأمل لا يغيب ، وهو لا يهتز لجريمة ولا لسلسلة من الجرائم ، وقد اجتاح غباره بلادًا تعد من أرقى بلاد الدنيا ، وبأساليب غاية فى الوحشية والعنف ،

فلا نال ذلك من استقرارها ، ولا أساء إلى سمعتها ، ولا صد السُّيَّاح عنها .

وستظل مصر هى مصر ، سواء فى ظلال الأمن أو فى حَمْأة الإرهاب .. ولن يتوقف عمل أو تخور عزيمة أو تهون إرادة . ولن يتوقف الموت كذلك ، سواء جرى قدره فوق فراشٍ أو على قارعة الطريق . وليفعل الله ما يشاء ، كيف شاء ، متى شاء .

١٨ / ٦ / ١٩٨٧

قرار حكيم عادل

محاولة سد الثغرة بين الأسعار والمرتبات قرار حكيم عادل ، يحمد للمسئولين عن وضع الميزانية الجديدة ، وهو فى ظاهره ينتمى إلى بند الخدمات ، ولكن فعاليته تسرى فى صميم العمل والإنتاج ، بل فى روح العدالة والانضباط والأخلاق ، ومهما رفعتُ من قَدْره فإننى لا أتجاوز به ما يستحق ، لا بدافع من الرحمة والعدل معًا ، ولكنْ لأن إهماله قديماً لحساب أهداف أخرى مهمة ومُلحة أوْ شَكَ أن يقضى على الخطة جميعها بما أهدر لقيمة الإنسان الذى ينفذها ، فتَرَكَهُ فى مواجهة الغلاء والتضخم بلا سَنَدٍ أو عون تحت رحمة وَحْشٍ .

إنَّ معاناة ذوى الدخل المحدود هى المسئولة عن ضياع هيبة الحكومة، وتعطل القانون ، وعذابات الجماهير فى قبضة الروتين والإهمال، والتسيب والانحراف والفساد ، وتخلخل الانتماء . إنها المسئولة عن الحيرة العامة التى نتخبط فيها ، وحتى إذا لم تنحصر المسئولية فيها وحدها ، فهى تأتى فى مقدمة الأسباب . وإذا تحقق العدل للعاملين أمكن أن يطالبوا حقًّا بالجد والعمل والإنتاج والانضباط، وأمكن أن يُحاسَبوا على الانحراف والإهمال والتسيب ، وأمكن أن تعود الإدارة إلى توازنها وفعاليتها ، وأن تسترد هيبتها ، وأن

تقوم بدورها الفَعَّال فى التنمية والأمن ، ونشر العدل والعدالة ، وتحقيق الاستقرار الحقيقى للفرد والمجتمع كى يقاوم تلك الحوادث مهما فظعت ، ويكافح التخلف وإن استشرى ، وأهم من ذلك أن يحوز ثقة الشعب ؛ فيستجيب الشعب لقُدوته بالتأييد والإخلاص والعمل الصالح . حقًّا إنه لقرار خطير ، والمأمول منه كبير .

١٩٧٧ / ٦ / ٢٥

الإرهـــــاب

لن نفهم ظاهرة التطرف الدينى الإرهابى إلا بالرجوع إلى التاريخ . ما يتردد اليوم من أنه نشأ كثمرة مُرَّة للتعذيب فى السجون ، أو لِمَا يُكابده الشباب من إحباط فى قبضة الأزمة الاقتصادية تفسير غير كافٍ ، وآية ذلك أنه وجد واستفحل قبل الأزمة ، كما أن تعذيب السجن كان نتيجة له وليس سببًا فيه ، وأقصى ما تفعله تلك العوامل أن تزيد مضاعفاته حِدَّةً . إنه قديم ومنذ العصور الأولى للإسلام ، ولا أُجاوز الحقيقة إذا قلتُ إنه ظاهرة لها ما يفسرها ، بل وما يبررها فى تاريخ الدولة الإسلامية نفسها ، فمنذ أخذت الدولة الإسلامية بأسباب الحضارة ، جامعة بين إيجابياتها وسلبياتها ، ومنذ أقبل المسلمون على الدنيا يكثرون من الأموال ، ويستسلمون للشهوات ، حصل رد فعل شديد فى نفوس طائفتَين من الناس ، طائفة معتدلة راحت تدعو للتقوى والزهد والإعراض عن مغريات الحياة ، فكانت الأصل الأول للتصوف الإسلامى ، وطائفة متطرفة كَفَّرَتِ الدولة والمجتمع ، وسلت السيف لتغيير نظام الحكم من أساسه . وواكبت تلك الحركات التاريخ الإسلامى حتى ظهور الوهابية والسنوسية والمهدية ، وأخيرًا الإخوان المسلمين .

فالتطرف الدينى الإرهابى هو الوجه الآخر للانحلال والفساد ،

وهدفه تطهير المجتمع وإعادة التوازن إليه ، وكان يلجأ قديماً للعنف لأنه لم تكن ثمة وسيلة للمعارضة سواه ، أما اليوم فلا مبرر له إطلاقاً على عصر الحرية وتعدد الأحزاب ، وخاصة بعد أن شق الصوت الإسلامى طريقه إلى مجلس الشعب ، ولكن يبدو أن الظاهرة تحتاج إلى حلول جديدة ، اجتماعية وسياسية وأمنية .

أما الاجتماعية فتقتضى التصدى بكل جدية لجميع مظاهر الفساد فى الإدارة والحياة العامة ، وأما السياسية فيجب أن يحظى الناس بحق تكوين الأحزاب ، وإنشاء الصحف بدون قيد أو شرط .

فإذا أصر قوم بعد ذلك على استعمال العنف فلن يعنى هذا إلاَّ أنهم أهل عنف وإرهاب ، يرومون التسلط على العباد بالقوة والخوف ، فلا يملك المجتمع فى تلك الحال إلا التصدى لهم بكل عزم وحزم دفاعاً عن حريته وكرامته .

١٩٨٧/٩/٣١

الديمقراطية مشروع قومى

ما أكثر الحديث عن « مشروع قومى » يلتف الجميع من حوله ، لعل أنسب عنوان له هو « النهضة » ، الذى يُطلق شعاراً للعمل فى الفترة القادمة . . ولا أعتقد أنه يوجد فرد واحد فى أى حزب ، أو مواطن واحد سليم النفس فى الشعب كله لا يتطلع إلى نهضة حقيقية شاملة لجميع أوجه النشاط فى وطننا من إنتاج وخدمات ، حول هذا يتفقون بلا جدال، ولكن حوله أيضًا يختلفون فى الوسائل والأهداف ، وإلاَّ ما انقسموا إلى أحزاب وتفرقوا فى المناهج والبرامج . ولا بديل لهذا التصور فى وقت السلم إلاَّ أن يكون دعوى للحزب الواحد وحنيناً لعهده .

النهضة هى تحديث الأمة ، وترشيد الإنتاج والخدمات ، ومواجهة تحديات الديون والسلبيات ، والتصدى للانحراف والانحلال والإرهاب، وشق طريق أمْنٍ وسط عواصف السياسة الخارجية ، كل أولئك يحتاج إلى عمل جاد متواصل من الحكومة ، كما يحتاج إلى معارضة أمينة يقظة من الأحزاب ، فلا بد من العمل ، ولابد من المعارضة ، لابد من التنفيذ ، ولابد من المراقبة والنقد ، وتلك هى نعمة الديمقراطية والضمان الحقيقى للفعل السديد .

ولكى يتم ذلك على أكمل وجه فعلى المعارضة أن تلتزم بمبادئها بدون

تردد أو مجاملة ، مع الحرص على الجدية والموضوعية ، وعلى الحكومة أن تخدم النقد وتوسع صدرها له بلا حدود ، وأن تُشرك المعارضة فى لجانها ومؤتمراتها ، وأن تُطلق لها حرية التعبير فى مجلس الشعب بلا حرج .
المعارضة دواء مر ، ولكنه دواء ناجع ، وعلينا أن نتخلص من العادات السيئة التى اكتسبناها على عهد الحُكم المطلق ، وليكن طريقنا إلى الصواب هو الرأى والرأى الآخر ، فى نطاق الحرية والرقابة الشعبية والكرامة الإنسانية .

١٣ / ١١ / ١٩٨٧

المعركـــة

إنَّ ماتمَّ إنجازه فى الخطة الخمسية الحالية يدل على أن جهدًا ضخمًا قد بُذِلَ ، وعلى أننا نتصدى للحال المتردية بعزيمة مصممة على تجاوز الأزمة، والانتقال إلى فترة انطلاق . ولكن لماذا يبدو أن الفرد من الجمهور المطحون لا يشعر بثمرة ذلك العمل ؟ لماذا يُطالع الأرقام بعين الحيرة والريبة ؟ . المسألة أن الفرد لا يعترف بالعمل إلا إذا جنى شيئًا من ثمرته ، وشارف الأمان حقًّا على رزقه وحياته وحريته ، وتلك غاية بعيدة المنال بعض الشىء ، وهيهات أن تتيسر قبل خطتين أو أكثر ، لا نتيجة لإهمالٍ أو تراخ ـ وهما غير منكورين ـ ولكن أساسًا بسبب فداحة الحال المتردية التى بدأ العمل منها .

بدأ العمل الجديد من نقطة انهيار شمل كل شىء ، من الهياكل الأساسية إلى الصناعة والزراعة ، وحتى بناء الإنسان نفسه ، فأى جهد يُبذل فإنما يُبذل لتخفيف قبضة السوء حول الأعناق ، أو تقويم معوج اضطرتنا الأخطاء إلى تأجيله أو إهماله ، على حين أن الحياة تتقدم ، والناس يتكاثرون ، والمطالب تتعدد ، والمرارة تحتدم . إن الموقف يجب أن يُبسط أمام الناس بالصِّدْق والصراحة ، والعمل يجب أن يتضاعف ، والسلبيات يجب أن تُحارَبَ بلا هوادة ، والانضباط يجب أن يكون كاملا، والقدوة الحسنة بينة واضحة .

يجب أن يفعل الحُكم كل ما من شأنه أن يقنع الناس بجديته وإخلاصه واستقامته ، وأن يهيىء لهم فرص المشاركة فى العمل ، ليطالبهم بعد ذلك بالصبر والتحمل ، ويحثهم على تغيير الواقع والانتصار عليه . وما ينبغى أن ننسى أن كثيرين يتربصون بنا ، ويتابعون معاناتنا بعين الطمع والاستغلال ، أملاً فى استقطاب المعذبين والانحراف بهم إلى أهدافهم ، فنحن نحارب التخلف والمعاناة والنيات السيئة المحدقة بنا ، وعلينا أن نكتسحها جميعًا .

١٩ / ١١ / ١٩٨٧

الحــرب فـى جبهتين

فى الخارج من حولنا حروب تضطرم مُصِرَّة على الاستمرار والتوسع ، وأساطيل تتجمع وتتحدى ، وأحقاد تتوغل وتستشرى ، وعلاقات تتمزق بلا رحمة ، وبلايين تتبدد فى جحيم الشيطان ، مخيبة آمال الصابرين المتطلعين إلى البناء والحضارة .

وفى الداخل معركة من نوع آخر تنشب بين الخراب والعمران ، وهمة تُبْذَل لتجديد حياتنا الراكدة ، مركزة على التعليم والإنتاج والإدارة ، ومستهدفة فى النهاية إعادة بناء الإنسان وإنقاذه من الضياع واليأس . ويقود الرجال هذه المعركة الداخلية وهم يخوضون فى الوقت نفسه أمواجًا عاتية من الفساد والانحلال ، تكاد من كثرتها وتكرارها تصبح سلوكًا يوميًا لا يلفت نظرًا أو يثير دهشة ، حتى لو توجت الجريمة بهرب المجرم آمنًا تحت سمع الرأى العام وبصره ، وحتى لو حرضت الشباب على رفض الحياة أو تكفيرها . غير أننا لم نفقد الأمل ، ومازلنا نأمل أن ينتصر العاملون على آفة عوامل الفناء والهزيمة . ولكن هل ترى أننا فى حاجة إلى مَنْ يذكرنا بما أهوى بوطننا إلى وَهْدَة الشقاء ؟ أنحن فى حاجة إلى مَنْ يُذكرنا بعواقب الاستيراد ، وخداع الطموح المتطرف ، وعبث المغامرات الطائشة ، وخطورة التعلق بأهداف مشروعات قومية بدون امتلاك القوة اللازمة لتحقيقها ؟

لا أعتقد أن إنسانًا فى حاجة إلى تذكير ، وكيف ذلك ونحن مازلنا ندفع ثمن التهور والأخطاء ، بل أوشكنا أن نعجز عن دفعه ؟

فالمطلوب منا اليوم بالنسبة للخارج سياسة رشيدة تحمى السفينة وسط العواطف والأعاصير ، سياسة تنبع من مصالحنا الحقيقية ، وتراعى أحوالنا وظروفنا ، وتستند إلى الواقع وأحكامه . ومطلوب منا فى الداخل العمل ، والإصرار على العمل ، والاستمرار فى العمل ، وفتح الأبواب للشعب للمشاركة الفعَّالة للفكر السديد ، والعمل الصالح ، وسيادة القانون ، لنستحق النجاة والحياة الكريمة .

١٧ / ١٢ / ١٩٨٧

مناجاة البلايين المهربة

يحدثنا بعض من أهل الخبرة ونجوم الإعلام عن البلايين المهربة فى الخارج ، وتكرر الحديث حتى صح لنا أن نميل إلى تصديقه . . أموال فلكية الأرقام ، وتعتبر من ناحية الوطن ضائعة ، وأصحابها يعيشون بيننا غرباء ، قلوبهم وآمالهم هائمة فى الخارج ، ولَدَى أول بادرة تنذرهم بما يسوء يرحلون إلى الأبد ، وكأنهم ماكانوا .

وجزء من تلك الأموال يستطيع أن يصنع المعجزات فى انتشال الوطن من مأزقه ، والانطلاق بالتنمية الشاملة إلى آفاقها المنشودة ، وطبعًا لا جدوى هنا من استعمال لغة الضمير أو الوطنية ، كما يبدو أن يد القانون لا تطولهم ، ولكن ألا يمكن تجربة لغة المصلحة المتبادلة ؟ بمعنى ـ مثلاً ـ أن نقترح عليهم أن يستوردوا احتياجاتنا الضرورية للحياة ، والتنمية ببعض مالهم ، ويكون لهم المال وأرباحه ، ليستثمروه بعد ذلك فى الخطة الموضوعة ، مع الانتفاع بكافة التسهيلات والامتيازات الممنوحة ، بالإضافة إلى الإقرار بفضلهم فيما يقدمون من خدمات ، وذلك يعنى أننا أنقذنا بعض المال الضائع واستخدمناه فى خير وجهه ، كما يعنى أننا أرجعنا أناسًا ضائعين إلى حظيرة الوطن ، بل إلى أعز مكان فيه .

إنَّ مَنْ يتحدثون عن الأموال المهربة يتحدثون عنها بثقة مَنْ يعرف

أصحابها فردًا فردًا ، فلماذا لا نفاوضهم وندعوهم إلى المشاركة الوطنية ، وبخاصة أننا لا نُحملهم أى تضحية ، بل على العكس ، نهيىء لهم فرصة لمضاعفة الأرباح والانتماء الوطنى ؟ إنها فكرة إنسان أرهقه التفكير فى حال الوطن ومصيره ، وعسى ألاَّ تكون فكرة خيالية .

١٤ / ١ / ١٩٨٨

خريطة الشباب

الشباب الذى يبشر بخلق أمة ناهضة يَتَّسِم بمواصفات أساسية لا غنى عنها . إنه يؤمن بهدف كبير فى العصر الذى يعيش فيه ، وبالتالى يتطلع إلى دور شخصى يناسبه فى نطاق ذلك الهدف ، ويكتسب من هذا وذاك انتماءً صادقًا ، وضميرًا اجتماعيًّا يقظًا ، وعزيمة وأملاً وإصرارًا يستعين بها فى شق طريقه فى أطوار التعليم والعمل ، فكيف نرى خريطة شبابنا على ضوء تلك المواصفات ؟

يوجد ولاشك شباب يعرفون لذواتهم أهدافًا شخصية تحوم حول الوظائف الممتازة والمهن الرفيعة ، ولا يحول بينهم وبينها حائل ، وهم أبناء الصفوة القادرة ، وإنْ خالطت حياتهم سلبيات فهى سلبيات المال والفراغ ، ونادرًا ما تتجاوز اهتماماتهم الذات وما يدور حولها ، وتمضى حياتهم بلا سدود أو إحباطات اجتماعية .

ويوجد آخرون ـ ولعلهم الكثرة ـ يتخبطون فى طُرقات غاصَّة بالأشواك ، تعليمهم ناقص ، وأبواب العمل فى وجوههم ضيقة عسيرة ، ومرتبات العامل منهم غير كافية وعاجزة عن إشباع احتياجاتهم الأساسية من المأوى والزواج وتحقيق الذات ، وهم يعيشون فى وجوم وسوء ظن ، بلا انتماء أو مشاركة فى الحياة العامة ، ولو بالقلب ، رافضين لما حولهم ، حالمين بالهجرة ، فى ظل تهديد دائم بالانحراف .

وهناك شباب يعرف لنفسه هدفًا ، ويتمتع بالانتماء والإيجابية والإيمان، فيه تتجلى المواصفات الأساسية للشباب الناهض ، ولكن من المؤسف أن يخالط فكره تطرُّف يشذ به عن القصد ، وقد يتمادى بعضٌ منه فى تطرُّفه فيتخطى القانون ويسفك الدماء .

ولذلك تلح المصلحة العليا على بذل المستحيل لإرجاع هذه الفئة إلى حظيرة القانون والشورى والموعظة الحسنة ، ليُدخلوها ـ بكل ما يحظون به من إيمان وإيجابية وانتماء ـ إلى هدفٍ أسْمَى ، فيكون حجرَ الأساس لبناء نهضة ، وسياجَ دفاعٍ للأمة حيال التدهور والفساد .

ونحن لنا دينٌ يقدس العلم والعمل ، وحقوق الإنسان والوطن . وتوفيقنا فى ذلك خليق بأن ينقذ الفئة الأولى من أنانيتها ، كما يخرج الثانية من حيرتها ، والله يهدى من يشاء إلى سواء السبيل .

١٩٨٨/٢/١١

نحو تضامن قومى

أُمتنا العريقة العزيزة تخوض أيام شدة ، ما فى ذلك من شك . وعلى رغم الجهد المبذول ، وبشائر التقدم التى تومض هنا وهناك ، فإن قبضة الأزمة الخانقة تشتد حول الرقاب فى أهم ضرورات الحياة ، كالغذاء والدواء والمسكن والعمل ، بالإضافة إلى ما يحمله المستقبل مِنْ نُذُرٍ خطيرة عن ماء الحياة ونورها .

جميع هذه الظروف تدعو إلى التضامن القومى فى ظل نظامنا الديمقراطى ، وما نُنادى به من سيادة القانون ، وإن يكن التضامن واجبًا فى أوقات الحرب ، فما نعانية كل يوم ، وما يُطل علينا من الغد ، مثل الحرب أو أشد . ولا يخفى على أحدٍ ما لهذا التضامن من فوائد ، فهو يوسع دائرة الاختيار لانتخاب الرجل المناسب فى المكان المناسب ، وهو ييسر لكل رأى بناء بلوغ الآذان والقلوب بدون جرح أو مرارة ، وهو يضفى على الحوار صدقًا وإخلاصًا ، وينقيه من شوائب الذاتية وعدم المسئولية . وهو أخيراً يشجع على اتخاذ القرارات الصعبة بدون خوف من عواقب مصطنعة ، فضلاً عن أنه يُنزلنا المنزلة اللائقة بالرجال الصادقين فى المواقف الحاسمة .

وكخطوة تمهيدية لذلك يجب أن نبدأ بإلغاء قانون الأحزاب ـ وهو

أضعف الإيمان فى مجال الإصلاح السياسى المرجو ـ احترامًا لحقوق الإنسان ، وإطلاقًا لحرية المواطنين فى تكوين ما يشاءون من أحزاب . وما الإنكار القانونى لحزب قائم فى الواقع إلا مهزلة اجتماعية ، فالقانون قد يعترض تدفق الواقع أو يجمده إلى حين ، ولكنه لا يلغيه .

كذلك فإن من العبث أن نفكر فى تضامن قومى ونحن نتجاهل مواطنين لهم وزنهم الفكرى والوطنى ، كالجماعات الإسلامية ، والناصريين ، والماركسيين ، وغيرهم . وبصفة عامه إذا أردنا تضامنًا قوميًّا فعلينا أن نفكر تفكيرًا قوميًّا .

١٩٨٨ / ٣ / ٣١

كرسى الاعتراف

المواطن الصالح غائب إلاَّ فيما ندر ، لا أفرق فى ذلك بين من ينتمون للشعب ومن ينتمون للسُّلْطَة ، فالناس فى مجتمع واحد وزمن واحدٍ وَحْدَة خاصة ، ولكنهم يشتركون فى حضارة واحدة بصفة عامة ، فمن عيوبنا البارزة اليوم التى لا تخفى على أحد ، السلبية ، وضعف الانتماء ، والنفاق ، وذبول النزاهة .

الجمهور يتفرج ولا يبالى ، حتى حق الانتخاب لا يتجشم مشواره القصير ، ولا يكاد يهمه من وطنه إلاَّ نفسه أو أسرته ، ويتخذ من النفاق وسيلة للسلامة وبلوغ المقاصد ، ويتناسى الإخلاص فى العمل ، فالغش البسيط سلوكه اليومى ، ولا يتورع عن الغش المركب ، فيحاول استيراد أغذية ملوثة بالإشعاع ، أو يوزع أطعمة فاسدة ، أو يؤجر عمارة لا تلبث أن تنقض على ساكنيها .

وأيضًا للمنتمين إلى السلطة سلبيتهم ، فعادة لا ينضبطون إلا حين وقوع الكارثة أو حضورها ، وهم ينافقون مَنْ فوقهم كما يُنافقهم مَنْ تحتهم ، وقد يرتشون أو يقبضون العمولات ، أو يتاجرون بأقوات الشعب، ويتحركون وكأنهم أسيادُ الشعبِ لا خُدَّ امُه وأُجراؤه ، ويثبون فوق القانون وهم يتغنون بسيادته ، ويعدون خير الوطن من أرض ووظائف وقفًا عليهم وعلى أبنائهم وذويهم ومماليكهم .

صورة كئيبة ، ولكنها صادقة بصفة عامة ، ولن يغيرها قلة صادقة عاملة مجتهدة ، ولو أن ما حَلَّ بنا هو من صميم طبيعتنا لو جب أن نفنى أو ننتحر ، ولكنها حال من ظُلماتها منتصرة قوية قاهرة . فأنا أصف واقعًا بغيضًا ولا أدعو لليأس ، ولكن يحسن بنا أن نتذكر ما أطاح بنا إلى الهاوية ، وأن نتساءل عمَّا يُخرجنا منها .

١٤ / ٤ / ١٩٨٨

الإيـدز السياسـى

كيف تفشت الأخلاق الرديئة ؟ حسبى أن أركز على سببين جوهريين تعاونا على غزو أمتنا الطيبة العريقة مثل داء الإيدز فأفقداها أصول مناعتها ، وهما : نظام حكم قام على الاستبداد والقهر ، وأزمة اقتصادية خانقة تهز الاستقرار النفسى والأمان الاجتماعى ، ولن أطيل فى تفصيل آثارهما الوبيلة ، فقد خبرناهما كما يخبر المريض الذى أُلْصِقَ به أعراض المرض ، مثل ارتفاع الحرارة ، والغثيان ، والصداع ، والآلام المبرحة .

إنه حالٌ يُفْرِغُ المواطنَ من شجاعته وسروره بالحياة ، ويُحيطه بالخوفِ وسوء الظن ، ويدفعه إلى مُداهَنة الحاكم ، بتقديم قرابين النفاق والكذب والخداع ، وانفصام الشخصية ، ثم يُسقطه فى الصمت والسلبية وعدم الانتماء ، والانحصار فى لقمة العيش ، مع الاستعداد للانحراف ، والإعراض عن التقاليد الكريمة ، وقد تثور الأعصاب فيقتل أو يغتصب ، وقد تُسَدُّ المنافذ فيدمن المخدرات أو ينتحر .

أما الذين يمارسون الاستبداد فمع الزمن يتعالون ويستكبرون ، وتقسو قلوبهم فلا يتورعون عن التنكيل بالضحايا بالإيذاء والتعذيب ، هازئين بكل قيمة ، وفى مقدمتها حقوق الإنسان والإخوَّة الوطنية ، ثم يعميهم الجشع بالنهب والسلب والعدوان وتخطى العُرْفَ والتقاليد والقانون .

هذا ما فعله بنا الاستبداد والأزمة ، سلط بعضنا على بعض ، ثم سلطنا على أنفسنا .

ولا شك أن العلاج قد بدأ فى الفترة الأخيرة بالتوجه النهائى نحو الديمقراطية ، والحث المتواصل على العمل والإنتاج ، والمحاولة الدائبة لاحتواء الأزمة .

ولكن لا مفر من خطوة جديدة حاسمة كى يكون لهذا الليل آخر .

٢١ / ٤ / ١٩٨٨

حول التربية الدينية

تلقينا فى طفولتنا وصبانا تربية دينية شاملة . درسنا الفرائض والأخلاق ، حفظنا ماتيسر من السور ، وأَلْمَمْنَا بالسيرة النبوية وجانب من تاريخ الإسلام .

من المُسَلَّم به أن التربية الدينية يجب أن تشمل ذلك كله ، ولكن يجب أيضًا أن نضيف إليها بوعى وتركيز أغراضًا جديدة ، تُعَدُّ من ناحية من صميم روح العصر ، كما أنها مستمدة من مضمون الدين بلا تكلف من ناحية أخرى . من ذلك أن نربى الناشئة على حُب العلم والمعرفة وتبجيل العلم والعلماء ، وسنجد لتأييد ذلك مانشاء من سند فى القرآن والحديث ، وأن نوجههم إلى تقديس العمل والإخلاص فيه ، والتفانى فى تنفيذه لخير الفرد والجماعة ، وسوف يمدنا الدين بما نشاء من آيات وأحاديث وحكايات مؤثرة ، وأنْ نُشْرِبَ قلوبهم حب الحرية والديمقراطية ، وندربهم عليها بالحوار والتزام العقل ، منطلقين من الشورى ومواقف مشهودة فى تاريخ الرسول والخلفاء الراشدين ، وأن نملا قلوبهم بحب العدالة الاجتماعية ، انطلاقًا من مبدأ التضامن البشرى ، والمساواة ، وحكمة الزكاة . ولنُذكرهم دائما وأبدًا بتقديس حقوق الإنسان ومغزاها فى التاريخ الإسلامى ، لنجعل من ذلك أساسًا متينًا للوحدة الوطنية والإخوَّة البشرية .

إن الفرد الذى ينشأ على تقديس هذه المبادىء ـ تقديسه للتوحيد ، والصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ـ لَهُوَ فرد جدير بالحياة فى دنيانا ، مؤهل لذلك خير تأهيل بما تلقنه من قيم روحية ومادية ، جدير بأن يشارك فى العصر معتمدًا علي نخبة من روحانياته ، ومتطهرًا فى الوقت نفسه من كثير من آفاته .

١٩٨٨ / ٥ / ٥

صلاة الاستسقاء

فى عام ١٩٨٦ تمت دراسة هامة شاملة فى المجالس القومية المتخصصة لتناقص مياه النيل وعواقبها المتوقعة فى الزراعة والطاقة . وصدرت توصيات بترشيد المياه والطاقة والسياسة الزراعية التى يجب أن تُتَّبَع .

والمجالس القومية تعمل منذ إنشائها فى دأب مستمر ونشاط كريم ، مستندة إلى خبرة أعضائها وحماسهم . وفى الفترة التى سمحت ظروف الخاصة بشهود جلساتها كنتُ أستمع بارتياح إلى ما يبلغه لنا الدكتور محمد عبد القادر حاتم ـ المشرف العام على المجالس ـ عَمَّا يُنفذ من توصيات المجالس ، مما يقطع بأن جهدها لا يضيع بلا ثمرة .

وأود أن أعتقد أن التوصيات الخاصة بالنيل قد لقيت ما تستحقه من عناية من جهة الاختصاص ، إنْ لم تكن قد سبقت إلى ذلك يقظة منها ، واستجابةً لواجبها .

ومن حديث وزير الرى فى الأهرام ندرك أنه توثب لمواجهة التحدى منذ وقت طويل ، مما يدعو للطمأنينة والثقة ، ولكن لُوحظ أن المواجهة جرت فى سرية ودون دعوة للجمهور للإحاطة والمشاركة ، باعتباره صاحب الشأن الأول فيما يكون . ولم يقف الأمر عند ذاك ، ولكن تجاوزه

إلى اتهام الأستاذ الكبير أحمد بهاء الدين بإثارة القلاقل عندما عَالَنَ الناسَ لأول مرة بمعلوماته عن الموضوع .

ولاشك أن هذا أسلوب من العمل مما ورثناه عن العهد الشمولى ، ومما يجب أن نتحرر منه فى عهدنا الديمقراطى . وستثبت الأيام القادمة صدق الجهد الذى بذل ، أمَّا فيما يخصنا كشعب فعلينا أن نكون على مستوى المسئولية والتضامن ، وأن نقف فى وجه التحدى صفًّا واحدًا واعيًا ، وأن نكون عند حُسن الظن بنا كلما دعا الداعى إلى ذلك .

١٩ / ٥ / ١٩٨٨

الدين فى العصر الحديث

ثمة صحوة دينية شاملة لا يمكن إنكارها ، ولا يجوز تجاهلها ، وهى ليست مقصورة على الجماعات الدينية ، ولكنها تسرى فى روح الأمة جمعاء ، وإنْ تفاوتت درجاتها . وتلك حال يجب أن يتأملها المصلحون والمخططون للمستقبل بعناية فائقة ، وعليهم أن يعتبروها قوة متاحة وطاقة مدخرة تنتظر من يتعامل معها بحكمة ودراية ، ويوجهها الوجهة الصحيحة السليمة لبعث الأمة من رقادها ، والسمو بها إلى ذروة نهضة متينة الأساس ، قوية الأركان .

ومن نِعَم الله علينا أن ديننا دين دنيا كما أنه دين آخرة ، يدعو إلى تعمير الأرض ، ويقدس العلم ، ويعد العمل عبادة ، فضلا عن أنه رحمة للعالمين بما أعلن من حقوقٍ للإنسان ، وما قرر من مساواة بين أهل الديانات . وما عصرنا إلا عصر العلم والعمل وحقوق الإنسان ، فمن الحكمة أن نجعل من الدين منطلق تربيتنا ونهضتنا ، وفى ذلك ما يضمن خَلْقَ إنسان صالح يملك من مقومات الوجود ما يقتضيه الوجود الإنسانى المستنير الشريف ، يزدهر تكوينه بالانتماء والإيجابية ، والاستقامة والاجتهاد ، وحب العلم والمعرفة ، وحب الإنسان .

ولا يفزعنك ما نلقى أحيانًا من شباب منحرف الفكر أو السلوك ، فلو أنه حُصِّنَ بالتربية السليمة التى لا ترعى إلاَّ وجه الحق وحده بدون

خوف من إنسان أو تملُّق لسُلطة ، لكان الأساس الراسخ لنهضة شاملة بإيمانه وإيجابيته وحماسه ، وقدُرته على تحدى التحديات . . نحن نملك ثروة طائلة فلنستثمرها فى الخير ، ولا نكن كالوارثين الفاسدين الذين يبددون ثرواتهم فى الباطل .

٩ / ٦ / ١٩٨٨

بين الدين والدنيا

كل حكومة هى حكومة دينية على نحو ما ، لا أعنى بذلك أن تكون السلطة بين رجال الدين ، أو بيد شخص يدعى لنفسه العصمة ، ، أو أنه ظِلُّ الله على الأرض ، وغير ذلك من الأقنعة التى يتخفى تحتها الاستبداد ، ولكن من ناحية المضمون الأخلاقى الذى تلتزم به فى معاملاتها وتشريعاتها . ذلك أن الدين من الناحية التاريخية هو المعلم الأخلاقى الأول للبشرية ، وأنه ما من حكومة إلاَّ وتلتزم فى دستورها وقوانينها بالسائد من الأخلاق والتقاليد والقيم ، ولذلك يمكن أن نعدها حكومة دينية من ناحية المضمون ، حتى إنْ نَحَّتِ الدِّينَ جانبًا أو نبذته نبذًا .

ومن هنا نجد فى الدستور السوفيتى قيماً دينية الأصل ، كالمساواة ، والعدالة ، كما نجد فى عقوباتها ما يشبه الحدود أو ما هو أشد . أجل إنه عند التطبيق تحدث فجوة بين ما ينبغى أن يكون وما هو كائن ، وقد يستشرى الفساد فتتسع الفَجْوَة حتى تطمس الصفة الدينية أمام الأعين ، وخاصة أعين المتطلعين إلى المَثَلِ الأعلى ، فيشتد بهم الغضب ، ويُكَفِّرُونَ الجميعَ ـ دولةً وشعبًا ـ ويتخطون فى غضبهم المألوف والقانون ، وينادون بحكومة دينية كوسيلة للتطهير والتقدم .

والواقع أن الحكومة المنشودة قائمة بالفعل ، وإنْ توارىَ جوهرها تحت الأتربة المتراكمة ، وقد يعيدها إلى أصلها الإصلاح العميق الشامل الذى يعنى فى النهاية تضييق الفجوة أو سدها ، وإعادة النظر فى بعض الأمور، وتغيير بعض العناوين . وإذا نفذ ذلك بالحكمة والإدراك السليم وفهم روح الدين والاستجابة لمقتضيات العصر جَازَ لنا أن نأمل فى حياة جديدة فيها الخير كل الخير للناس أجمعين ، وعندنا من أهل الخبرة والاعتدال من يؤكدون ذلك ، وقد أعلنوا رأيهم مرارًا وتكرارًا ، وهو أن الفارق بين القوانين القائمة والأخرى التى يُطالب بها الآخرون قليل ، وأن الاجتهاد كفيل بالتوفيق بين الثوابت والمتغيرات . وإذا كان ذلك كذلك فلماذا نقف عند حد المناقشة ولا نتجاوزه إلى حيز التنفيذ ؟ . لماذا لا نخرج من جو القتامة والشك إلى نور النهار السافر المؤيد بالمصلحة العامة وحقوق الإنسان والوحدة الوطنية ؟

١٦ / ٦ / ١٩٨٨

رجـل الساعـة

كيف يكون التفكير ؟ وكيف يكون السلوك ؟

إننا لا نفكر فى فراغ ، ولا فى رَغَد من العيش ، ولكن فى غمار تحديات اقتصادية وسياسية وفكرية وكونية تجعل من حياتنا توترًا مستمرًّا ، وخطرًا داهمًا ، وتطالبنا ببذل جميع ما نملك من حكمة وخبرة لنقرر مصيرنا نحو مستقبل حافل بكافة الاحتمالات . فعلينا جميعًا ـ شعبًا وأحزابًا ودولةً ـ أن نستحضر الجو المحدق بنا كلما فكرنا أو عزمنا على إصدار قرار ، علينا أن نركز على المصلحة العامة ، وأن نتوخى السبيل إلى سلامة الوطن ، وأن نتجاوز عَمَّا تقتضيه منافسات الحياة المألوفة ، وما تثيره الخصومات المشروعة فى الظروف العادية ، وما تغرى به المناورات الحزبية ، ففى زمن الخطر يجب أن يتغير التفكير والقرار ، وتتوجه النوايا نحو هدف واحد ، هو الخلاص ، مع كل ما يتطلبه من تضحية ونكران للذات . وهيهات ـ إنْ وقعت الواقعة ـ أن يهنأ خصم باندحار خصمه ، أو يشمت مناضل بهزيمة غريمه .

قد تجد الحكومة نفسها فى مركز القوة ، وترى أن تستأثر بكل شىء ، وأن تتمادى فى الخصام والكبرياء .

وقد تجد المعارضة نفسها فى مأزق ، فلا حرية فى الحركة ، ولا ثمرة

لجهد ، ولا تداول فى الحكم ، وأنها تصرخ فى وادٍ ، وتمضى إلى طريق مسدود .

فهل تقابل العناد بالتطرف ، والكبرياء بالعداوة السافرة ، يجوز ذلك، بل يجب فى الظروف العادية ، أما اليوم فإن الموقف أكبر من ذلك وأشد . إنه موقف الحكمة والتضحية ، ولن يفوز فيه من ينكل بالخصم أو يوقعه فى عواقب سَوْآته ، ولن يظفر بالبطولة ذكىٌّ أو مُناوِرٌ أو داهية ، ولكن الوطن والتاريخ ينتظران البطل الحكيم الفدائى المنكر للذات ، الذى يتقدم الصفوف مستهدفًا غاية وحيدة ، هى سلامة الوطن .

٧ / ٧ / ١٩٨٨

كيف نواجه العدو ؟

نحن نواجه أزمة اقتصادية طاحنة ، وغلاءً وحشيًّا مجنونًا لا يريد أن يقف عند حد ، وينذر بعواقب وخيمة لا يجوز أن نقف أمام نُذُرِهَا مكتوفى الأيدى . وقد يطول الانتظار حتى تظهر نتائج الجهد المبذول فى تنفيذ الخطة حتى يشعر بها المواطن المطحون فى حياته اليومية . فى مثل هذه الظروف يجب أن تتفجر فى الأنفس شعلة التضامن الاجتماعى ، ويعرف كل فرد واجبه فى حدود إمكاناته ، كل فردٍ وكل جماعة وكل مؤسسة على جميع المستويات الرسمية والشعبية .

أول ما يجب أن يختفى من حياتنا الإسراف والسفه ، إِذْ لا يمكن الجمع بين أزمة طاحنة وإسراف سفيه ، يجب أن نتخذ من الترشيد أسلوبًا جديدًا فى حياتنا ، وهو أسلوب يعد فضيلة فى الظروف العادية ولكنه ضرورة حتمية فى الظروف الاستثنائية .

نحن فى حاجة دائمة إلى ترشيد فى الإنجاب ، والطاقة ، والمياه ، والغذاء ، وخاصة ما يتعلق بالكماليات والمظاهر والتقاليد البالية .

وليس من العدل أن نوجه هذه الدعوة إلى الجميع على قدم المساواة ، ولكن لِكُلٍّ على قَدْرِ قدراته . يجب أن توجه أولا إلى الدولة لتكون قدوة ومثالا ، ولئلاَّ تنفق مليمًا بلا ضرورة وفى غير مصلحة عامة . وتوجه إلى

القادرين الذين ينفقون بلا حساب وبدون مراعاة للظروف والمشاعر أو تَدَبُّرٍ لما يحدثه سلوكهم فى إطلاق العنان لوحش الغلاء ليفتك بإخوانهم من ذوى الدخل المحدود . وتوجه بعد ذلك إلى كل مَنْ يملك فرصة للانضباط بدون أن يكلف نفسه مالا تطيقه . على كل فردٍ أن يعيد النظر فى حياته ، ويحاور ضميره ، ويستمد القوة من ذاته ، ويتذكر أنه عضو فى جماعة لا حياة لها إلا بالتآلف والتضامن والإنسانية .

٨ / ٩ / ١٩٨٨

الحلم والواقع

حلمى الجميل الذى لا أتخلى عنه أن أرى شعبنا يستقيظ ، أن يستيقظ شعبنا فيسترد وعيه وإرادته ، وأنْ يتملك قوته وسلطانه ، وأن يصبح مصدر السلطات ، وحاكم الحُكام ، ومحرك الأحداث ، فيسود القانون ، وتتقدس حقوق الإنسان ، ويتلاشَى الانحراف ، وينطلق الإنتاج والإبداع ، ليذهب عهد الأوصياء إلى الجحيم ، فقد حل محله عهد ديمقراطية وحرية ، كانوا أوصياء مزيفين . كانوا هم أنفسهم فى أشد حاجة إلى الوصاية والأوصياء .

جربنا ـ قبل وبعد الثورة ـ الوصى العميل ، والوصى الوطنى الثائر ، والوصى السياسى اللبق ، فاختلفت النوايا ، وتنوعت الأهداف ، ولكن حقت الهزيمة والخطيئة على الجميع ، لأن الوصاية الرشيدة لا تكون إلا للشعوب . فى عهود الوصايا المتتابعة ـ قبل وبعد الثورة ـ استشرى الاستعمار ، وضاع الاستقلال ، ومُنِينَا بالهزائم والفساد ، وغرقنا فى بحار القروض ، وفَتَكَ الغلاءُ والإرهاب بالكرامة والأمان . ولولا التماعاتٌ من يقظة الشعب فرقت ومضاتها السماء المظلمة على فترات من التاريخ ما بُعِثْنَا من المقابر ، ولا تصدينا للمقادر .

انهض يا شعبنا العزيز واستيقظ . اسحَقْ عادتك السيئة فى تعليق

سوء حظك بنظام أو رجل . لا تُنكر نصيبك من المسئولية مهما جل شأن الخصم أو بطشه . أنت مسئول عن ضياع التجربة الديمقراطية الماضية . أنت مسئول عن فشل التجربة الاشتراكية . لولا صبرك ما تهادَى ظالم أو تمادَى طاغية . وَاجِه الحقيقة . واجه الحقيقة واعترف واندم وتُبْ ، واسترد حقك الشرعى ، والتمس إليه الوسيلة بكل سبيل ، والله معك .

٢٩ / ٩ / ١٩٨٨

كلمة بين الصخب والغضب

إليك صورة عامة لحياتنا اليوم . . شعب يقف صابرًا أمام وحش الغلاء ، وترهقه أزمة شبابه ، ودولة تنفذ خطة بعيدة المدى بجهد غير منكور ، ولكنه دون الكفاية بالقياس إلى ضخامة المشكلات ، وفى وسط ينوء بالتسيب واللامبالاة ، وبين هذا وذاك تنطلق من حين لآخر شرارات غاضبة تسفر عن ضحايا من الشعب ورجال الأمن ، متحرشة بالاستقرار ، ومنقضة برعونة على وحدة الأمة المقدسة .

لابد من كلمة للجماعات الإسلامية ، ولابد من كلمة إلى الدولة .

للجماعات أقول : إنه لم يَخْلُ عصر من عصور الإسلام من فِرَق متناقضة ، تعايش بعضها فى ظل الخلاف المشروع ، وتقاتل البعض الآخر فى حروب أهلية أنهكت الأمة ونالت من وحدتها وقوتها . فى عصرنا يُعالج الخلاف الفكرى فى جو الديمقراطية بالمناقشة والدعوة ، ولا يلجأ فيه إلى القوة إلا عاجزٌ أو مستبدٌ أو إرهابىّ ، وما أنتم فى النهاية إلا فرقة إسلامية لها فكرها ورؤيتها ، ولستم الوحيدين فى الساحة ، فثمة غيركم مسلمون لهم فكرهم ورؤيتهم .

من حق كل فريق أن يعيش تحت مظلة فكره مؤمنًا آمنًا ، وأن يمارس حياته بما يُرضِى ضميره ويبرىء ذمته . أمَّا تَجاوُزُ ذلك إلى استعمال القوة

فى فرض الرأى فهو سلوك خارج على القانون ، مُهدِّدٌ للأمن ، ونذير سوء لاستقرار المجتمع ووحدته الأساسية ، ولا مفر من أن يُقابله المجتمع بالدفاع عن نفسه وسيادته بدون هوادة ، وإلاَّ فَقَدَ جدارته ومضمونه ، فليكن جهادكم مشروعًا ، واحقنوا دماءكم ودماء إخوانكم من رجال الأمن .

وللدولة أقول : إنه لابد من مضاعفة الجهد فى البناء ، ومطاردة الفساد ، وإحقاق الحق والعدل ، وسيادة القانون ، وإنَّ ملاذَنَا الأخير فى استكمال الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان ، فدعوا الأحزاب تتكون كيفما تشاء ، وأطلقوا الحرية للأحزاب القائمة لتعمل على استقطاب الشباب وتربيتهم ، وبث الوعى المضىء فى قلوبهم ، دعوا الشعب يتحرك ويستعيد صحته وعافيته ليعلو صوته على جميع الأصوات.

إن النُّذُرَ تتطاير من حولنا حاملة رسائل الكدر ، ولن يعنى السكون إلاَّ الاستسلام لمستقبل مجهول فى غير صالحنا .

١٣ / ١٠ / ١٩٨٨

شرفاء لكن مجرمون

لا يخلو مجتمع من الجريمة ، ولكن كلمتى لن تجرى حول المجرمين العاديين ، مثل معتادى الإجرام والمتورطين فى الجريمة لأسباب شتى ، وذوى العاهات العقلية ، والإرهابيين .

هنالك نوع آخر ، لا يختلف فى مظهره عن المواطن الصالح ، فهو يمارس مهنة مشروعة ، وقد يحظَى بالجاه والنفوذ ، ولكنه يرتكب من الغش والفساد والانحراف فى عمله ما يتسبب فى الأذى أو يسوق إلى الهلاك ، وهو يقدم على انحرافه بدافع الطمع أو الإهمال ، وبضمير ميت يدل على أنه دسيسة خبيثة فى المجتمع وليس عُضْوًا عاملاً فيه .

وقد عرفنا من تلك الجرائم ألوانًا شكلت فى زماننا ما يمكن أن نعتبره ظاهرة ، أسوق إليك أمثلة على سبيل التذكير ليس إلاَّ . منها الأغذية الفاسدة التى طُرحت للتداول مع علم أصحابها بفسادها . ومنها الأغذية التى هَمَّ أصحابها بإدخالها إلى البلاد وهم على تمام العلم بتسرب الإشعاع القاتل إليها . ومنها ما نُشر عن كابلات مستهلكة ظلت تعمل بعد انقضاء عمرها الافتراضى ، فأحدثت المئات من الحرائق والضحايا ، وغير ذلك مما تراه الأعين أحيانًا فى الطرقات .

ماذا يعنى هذا ؟ يعنى أن يوجد مجرمون متخفون تحت أقنعة الشرفاء ،

وأن انحرافهم يتجاوز حدود الفساد الجارى إلى الشروع فى القتل أو القتل نفسه ، وأن المواطن الذى نطالب له بحقوق الإنسان محروم لديهم من حقوق الحيوان والنبات .

والأمر لا يحتمل الصبر حتى يطرح التهذيب والتربية والحضارة ثمراتها الإنسانية ، فلا مناصَ من الرقابة والمتابعة واتخاذ الإجراءات الصارمة للقضاء على الجريمة والمجرمين ذوى الأقنعة الشريفة ، وهم شَرُّ أنواع المجرمين .

١٠ / ١١ / ١٩٨٨

نحو مجتمع لا يقوم على العنف

هنالك حوادث عنف تستحق الحزن وتثير الامتعاض . وهنالك تحاملات قاسية لم نعهدها إلا أيام الاستعمار أو الاستبداد . وإذا كنا مازلنا ننعم عمومًا بالاستقرار والطمأنينة فإنما يرجع الفضل فى ذلك إلى صولة جهاز الأمن ، وما فُطِرَ عليه شعبنا من اعتدال ورحمة . ونحن نريد للاستقرار أن يدومَ ويرسخ بفضل المناخ النقى والعدل الشامل والخير السابغ والمبادىء السامية ، لكى نقضى على العنف ، بل لكى نبنى نهضة جديرة بنا ، وهو الأهم ، وهو الهدف .

إنَّ علينا أن نستثمر جميع طاقاتنا فى تنفيذ التنمية الشاملة ، خطة بعد خطة ، وأنْ ننظر إلى الحياة نظرة جدية قادرة على البذل والتضحية وضبط النفس والشهوات ، والإضراب الكامل عن كافة ألوان السفه والتبذير .

وأن نطارد الفساد مطاردة لا تقف عند حد ، ولا تعرف المواربة أو الهوادة أو التمهل ، لنستعيد الثقة فى أنفسنا وفى دولتنا وفى الحياة .

وأن نولى الإصلاح السياسى حقه من العناية والاهتمام ، ولنبدأ فورًا فى إلغاء القوانين المقيدة لتكوين الأحزاب كخطوة أولى أو عاجلة لنقضى على أسباب الغربة المخيمة على فئات من الشعب بدون وجه حق .

وأن نستجيب بدون تردد ـ وبالرضا الواجب ـ لمطالب الهيئة القضائية

لدعم استقلال العدالة من أى شائبة ، وإعلاء سيادة القانون بحق ليُظِلَّ الحاكم والمحكوم ، البرىء والمتهم ، فنخطو خطوة حاسمة نحو عصرنا المنير .

وأن نضاعف الجهد لبث روح ديننا بين الناشئة عن طريق التربية، وبين الناس جميعًا عن طريق وسائل الإعلام ، ليستقر فى أعماق النفوس كطاقة هائلة للتقوى والمعاملة السامية والعمل والعلم والتسامح واحترام حقوق الإنسان .

بعد ذلك يحق لنا أن نتصدى لمن تسول له نفسه الاستهانة بالقانون بما يقطع دابره ويستأصل شأفته .

١٩ / ١ / ١٩٨٩

دعوة للدفاع عن النفس

لو وَازنَّا بين المشكلات من ناحية والجهد المبذول لحلها من ناحية أخرى نجد أن كفة المشكلات مازالت الراجحة ، وقبل أن يدهمنا المجهول ونحن مُنْهَمِكُونَ فى حياتنا اليومية ، علينا أن نفكر فى مواجهة دفاعية شاملة لاتخاذ موقف ، والإشارة إليه إشارة واضحة . ونحن ـ كأفراد وأحزاب وهيئات ومؤسسات ـ لا نقصر فى التفكير فى حاضرنا وغدنا ، فما أكثر المقالات والبحوث والكتب والوصايا ، ولكن ذلك جميعه يدور فى برج مستقبل عن الواقع والتنفيذ ، كأنما هو جهد من أجل راحة الضمير أو تزجية الفراغ ، ويبقى الركود من حولنا أو شىء من التحرك البطىء الذى لا يتناسب مع ضخامة المشكلات وتربص الويلات .

علينا كأُمة أن تجتمع لتُحَدِّد موقفها من تحديات عصرها . أن تجتمع أحزابها المُعْلَنَةُ وغير المعلنة ، وأهلُ الخبرة المُوَزَّعُون بين المجالس القومية والنقابات المهنية والعمالية والجامعات . أن يجتمعوا لدراسة المشكلات واقتراح الحلول . قد يتفقون على رأى فى أمر أو أكثر ، وقد يصلون إلى أغلبية فى أمور ، وقد يختلفون فيما عدا ذلك ، ولكننا سنهتدى من خلال الاجتماع إلى قرارات على سبيل الإجماع فلا نتردد فى تنفيذها ، وهو حكم يسرى على الأغلبية ، ويشجع الحكومة على إصدار قراراتها ، وحتى ما

نختلف فيه سيتضح لنا منه ما يخفى على العين العابرة . علينا أن نتحرك حتى لا نبدو لعين التاريخ كقوم غارقين فى غفلة الذهول انتظارًا لما يجيء به الغيب . وكيف يركن قوم للغفلة وحياتهم تموج بمشكلات مثل الديون ، والنمو السكانى ، والبطالة ، وأزمة الإنتاج ، والفساد ، والتوفيق بين الرؤية الإسلامية والوحدة الوطنية والعصر ؟!

١٢ / ٤ / ١٩٨٩

بين الدفاع والإصلاح

هانحن نعقد العزم على التصدى بحزم لجرائم المخدرات والاغتصاب، ونتشدد فى سَنِّ القوانين الرادعة العادلة حماية للكرامة البشرية وسلامة الوطن . وما من شك فى أن جميع انحرافات الفساد التى تعوق نهضتنا تستحق مثل ذلك الحزم ، فتهريب الأموال ، والنصب على البنوك ، والاتجار فى العملة ، ورفع الأسعار المفتعل ، وسوء معاملة الشعب ، واستغلال النفوذ ، والمحاباة الطبقية ، كل أولئك تشكل وضعًا غير إنسانى ، وتحدث ضررًا بالغًا للملايين ، وتعوق نهضتنا عن الانطلاق ، وتدهمنا وتداهم أبناءَنا بالإحباط والسلبية ، وتحرض البعض على التطرف ، كما تغرى البعض الآخر بالانحراف . ومع ذلك فحذار أن نتوهم أن العقوبة هى نهاية الجهد والاجتهاد أو غاية الختام . العقوبة وسيلة لا غنى عنها لخط الدفاع الأوَّلِىّ ، وهى تجيء فى تقدير الإصلاح فى المستوى الأدنى ، وما هى إلا الوسيلة السهلة المتاحة إذا تأخرت الوسائل الناجعة أو تأخرنا عنها .

العلاج الحقيقى يوجد فى شبكة معقدة متكاملة من الإنجازات : فى الاقتصاد ، والسياسة ، والثقافة ، والأخلاق ، وهو ما نسميه بحق التنمية الشاملة . هى المشروع القومى لمن يبحثون عن مشروع قومى ، وأى مشروع يفوق فى أهميته القضاء على التخلف والانطلاق نحو

العصر. وكلما تقدمنا خطوة فى الإنجاز تقدمنا تلقائيًا فى خدمة الوطن والشباب والعقل والذوق ، وتغير منظور الحياة أمامنا ، وارتفع موقعنا فيها ، فتجرى الدماء فى العروق ، والآمال فى القلوب .

والعقوبات الحاسمة ضرورة ولا شك ، ولكن الشباب فى حاجة إلى مَنْ يناجيه فى أزماته الطاحنة ، ويهديه إلى الصراط المستقيم وهو يخوض ظلمات الليل البهيم . أهلاً بالعقوبات الحاسمة ، ولتكن فرصة نُقَوِّمُ فيها المُعْوَجَّ من شئوننا ، ونطهر أنفسنا من الخبائث .

٤ / ٥ / ١٩٨٩

الوعظ فى هذا العصر

رسالة الوعظ هى أن تعرفنا بالدين للعمل للآخرة والدنيا معًا ، أن نعبد الله عبادة صحيحة ، وأن نتعامل مع الناس وأطوار الحياة بما يرضيه ، ومهمته الأولى يسيرة ، أما المهمة الأخرى فشاقة وعسيرة ، الأولى يسيرة لثباتها ووضوح معالمها ، أما المهمة الأخرى فشاقة وعسيرة لأنها لا يجوز عليها الكسل أو الغفلة ، لأن الدنيا تجرى بدون توقف مع الزمن ، وتتلقى كل يوم - وربما كان ساعة - جديدًا فى المعرفة والعمل ، وما يترتب على ذلك من تجديد فى المعاملات والسلوك والعلاقات التى يتبادلها البشر ، سواء فى الوطن الواحد أو على مدى الكرة الأرضية . ويتطلب ذلك من الواعظ يقظة مستمرة ، ووعيًا بعصره ، واطلاعًا متواصلا على ما يحدث فى الحضارات ، وما يضطرم به جوف الحاضر أو يتمخض عنه وجه المستقبل .

ويجب أن يوضع ذلك فى الاعتبار عند وضع المناهج الدراسية للوعاظ ، وبخاصة ما يتعلق بالحضارة وروح العصر ومتطلباته ، وسير البشرية من الثورة الزراعية إلى الصناعية ، وانتقالها رويدًا رويدًا إلى عصر المعلومات ، وكيف أنها بفضل وسائل الاتصال الحديثة تتجه نحو نوع من التوحد ، وأنه لن يوقف موجاتها المتدفقة قرار أو مصادرة أو رقابة أو

غير ذلك من وسائل الهروب . فالسؤال المطروح على الوعظ والوعاظ هو: كيف نعيش مسلمين اليوم وغدًا فى هذا العالم المهيمن الذى لا مهرب منه ؟

من هنا تجىء أهمية الاجتهاد للتصدى والمواجهة ، ولكى يشارك المسلم فى الحياة المتجددة بدون حرج أو شعور بالغربة ، أو محاولات يائسة للهروب إلى كهف الماضى ، فإما أن نجتهد وإما أن نقترض . ولذلك يجب أن ينتمى الوعاظ إلى هيئة عليا من العلماء المجتهدين ، لعلها أخطر الهيئات الدينية فى عصرنا ، يوكل إليها رسم الحدود لحياة المسلم فى العصر الحديث . جميل أن نتذكر القول بأن الإسلام يصلح لكل زمان ومكان ، وقد آن لنا أن نثبت ذلك بالفعل والعقل والإيمان .

١ / ٦ / ١٩٨٩

البَنّاءُون والمخربون

فى حياتنا أصدقاء وأعداء ، أولئك يبنون وهؤلاء يخربون ، ربما انتصر المخربون فترة من الزمن ، ولكن العاقبة فى النهاية للبنائين . ولعله من المفيد أن نستعرض ونتذكر ، فَمَنْ هم البناءون ومن هم المخربون ؟

أذكر فى البنائين :

١ ـ الرئيس الذى لا ينى عن الحث على العمل والتحذير من الفوضى، يطوف بمواقع العمل فى الداخل ، وينتقل بين الشرق والغرب فى الخارج سعيًا فى سبيل الخير والسلام .

٢ ـ قلة جادة مجتهدة ، عاملة فى صمت ، تنفذ الخطة بأمانة وخبرة ، تكافح مشكلات الحاضر وتتطلع إلى الغد ، وتبشر بمستقبل أفضل .

٣ ـ معارضة صادقة وطنية لا تضن برأى ولا تخشى فى الحق لومة لائم، وتصبر على مكاره كثيرة وظروف عسيرة .

٤ ـ جماعة مخلصة من أهل الرأى والخبرة فى المجالس القومية ، تفكر وتفكر ، وتصدر التوصيات تلو التوصيات ، وتتابع بهمة كل كبيرة وصغيرة .

وأذكر فى المخربين :

١ ـ المهملين والمتسيبين واللامبالين .

٢ ـ ناهبى المعونات ومهربى الأموال .

٣ ـ المتهربين من الضرائب .

٤ ـ تجار الموت من مهربى المخدرات ومروجيها .

٥ ـ المتربحين من معاناة الشعب والمتاجرين بلقمته .

٦ ـ المضللين المزايدين بأجمل الكلمات لخدمة أحط النوايا .

٧ ـ العابثين بحقوق الإنسان وقيمه وآماله .

أما البنَّاءون فيستحقون تقدير الأمة . وأما المخربون فيستحقون الموت .

١٩٨٩ / ٦ / ٨

الإعلام والجريمة

ما من مجتمع إلا وله نصيبه من الجرائم والانحرافات . لعلها تقل كلما أحرز المجتمع مزيدًا من التوازن الروحى والمادى فاتسم بالحضارة والصحة النفسية ، وتزيد كلما اختل ميزانه وتكالبت عليه عوامل الجهل والفقر والتخلف ، فسرى فى أوصاله التحلل واليأس واللامبالاة . لذلك فإن كفاح الجريمة حقًّا ما هو إلا باب من أبواب كفاح التأخر بصفة عامة ، وإعلان الحرب الحضارية على الجهل والمستوى المتدنى من المعيشة والقهر والعبث بحقوق الإنسان والتطاول على قداسة القانون والقيم . تُرَى ما الموقف المثالى لوسائل الإعلام من الجرائم والانحرافات التى لا تبرأ منها فئة أو طبقة ؟

لا يمكن أن تتجاهلها إيثارًا للسلامة وحسن السمعة ، وإلاَّ خانت رسالة من أهم رسائلها ، وهى إمداد الناس بالمعلومات عَمَّا يقع فى بلادهم والعالم ، لتستخلص العبرة منه وتحث على مقاومته واقتلاعه من جذوره .

ولا يمكن أن تعالجها بروح الإثارة والتشويق والتهويل لما يعنيه ذلك من المغالاة فى تصويرها ، وما يصاحبه حتماً من إشاعة الفزع واليأس ، بل وما قد يغرى المترددين والمرضى النفسيين بالتورط فى الجريمة .

وجوهنا أنْ أفيقوا وهُبُّوا قبل أن يجرفكم الطوفان ، وما الإرهاب إلاَّ ثمرةٌ مُرَّةٌ للمعاناة والفساد وسوء الأحوال .

ويجب أن نستكمل مسيرتنا الديمقراطية ، وأن نحترم القانون وحقوق الإنسان ، ونهيىء مناخًا صالحًا للحياة الصالحة ، أقول ذلك وأنا على علم بأن البلاد الديمقراطية لا تخلو من فسادٍ أو إرهاب أو تطرف ، ولكن الأمل فى تَخَطِّى العقبات مع الحرية والإيجابية الشعبية أكبر منه فى وَهْدَة الشمولية والقهر والظلم .

عندما نتوجه بصدق نحو تحقيق ذلك نهيىء لمعركتنا مع الإرهاب قوة ومعنى وركيزة ، ونكرس لرجال الأمن قضية عادلة تستحق التضحية والبذل ، فينطلقون فى مهمتهم السامية أبطالاً لا موظفين مكلفين بالدفاع عن منحرفين من نوع مّا ، ضد منحرفين من نوع آخر .

١١ / ١ / ١٩٩٠

حول مشروع قومى

مما يثير الدهشة أن يجتمع مفكرون للبحث عن مشروع قومى يلتقون حوله . فالمشروع القومى هو الذى يدعو الناس للاعتراف به وإعلانه والدعوة للالتفاف حوله . إنه ينشأ بذاته فى مجرى التاريخ ، ينبثق من خلال الظروف السياسية والاجتماعية والدولية كضرورة حتمية ، ثم لا ينتظر إلاَّ إشارة من فرد أو جماعة ليصبح هدفَ حياةٍ أُمة فى فترة من الزمن. هكذا كان إحياء الروح الوطنية على عهد الاحتلال الذى بشَّرَ به الحزب الوطنى القديم . هكذا كان الاستقلال عقب الهدنة وإعلان مبادىء « ولسون » الذى حمل لواءه الوفد . هكذا كان الحكم الديمقراطى بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ الذى جاهد فى سبيله مصطفى النحاس . هكذا كانت العدالة الاجتماعية التى تبناها رجال ثورة يوليو ، لم يكن ثمة اختيار بين بدائل ، فلكل فترة مشروعها ، ولكل مشروع رجاله .

والظاهر أنه لا يوجد مشروع قومى اليوم بالمعنى الشامل ، ولكن يُطرح على الساحة مشروعان لا يخفيان على أحد :

مشروع التنمية الشاملة الذى يتعامل مع جميع المرافق والأنشطة الداخلية ، ويستهدف سياسة خارجية عربية وإفريقية وعالمية على أسس

حكيمة متوازنة ، ويحاول اللحاق بالعصر ، مع تمسكه بالدين والقيم والوحدة الوطنية ، وهو مشروع يجب أن يلتف حوله جميع مَنْ يؤمنون بالأهداف المذكورة . ولعله لا يحظى بما يستحق من انتشار وحرارة لتقصير القائمين به فى خلق القاعدة الشعبية المناسبة ، والتردد الذى يمنعه من تبنى الديمقراطية الكاملة ، ولفساد الإدارة الذى يثير السخط والسلبية .

والمشروع الآخر هو المشروع الأساسى ، وله قاعدة متينة ، ولكنه غارق فى الماضى ، متخلف عن العصر وروحه ، مُتَحَدِّ متصلب ، وفيه عُنف ، يصد عنه المسلمون قبل غيرهم ، وحتى قادة الرأى الإسلامى السمح المستنير متهمون عنده ، ولم يسلموا من يده ولسانه ، وهذا المشروع لو نقى نفسه من آفاته ، وثَابَ إلى روح الإسلام الحقيقية ، وتَبِعَ رجالَهُ المستنيرين لصلح أن يكون للمشروع الأول مرشدًا ومذكرًا ومشيرًا .

أما الذين يبحثون عن مشروع قومى فعليهم أن ينضموا إلى أحد المشروعين المطروحين ، ويخلصوا من سلبيتهم التى تحرم الأمة من علمهم وخبرتهم .

٨ / ٣ / ١٩٩٠

الوحدة الوطنية

كأنه كابوس يعيش فيه النائم المعذب . . إشاعة غريبة يصدقها أُناسٌ ، ويندفع منهم نفر فيحرقون ويخربون . ثم ينجلى التحقيق عن كذب الإشاعة ، وتبقى الخسائر شاهدًا على عمق مأساة وأحزان أُمة .

كيف تخيل البعض مالا وجود له ؟ . لماذا سارع أُناسٌ إلى التصديق ؟ لماذا تطوع آخرون بالتخريب ؟ .

لقد شهدتُ عصرًا يمكن أن نسميه عصر الوحدة الوطنية . كانت واقعًا حيًّا ، وعاطفة صادقة ، وأساسًا مكينًا . وكان لها خصوم سياسيون لا يكفُّون عن مهاجمتها بالتلميح والتصريح واختلاق الأكاذيب ، ولكنها كانت تصد عن بنيانها أى عدوان بدون أدنى حاجة إلى تدخُّل رجال الأمن أو رجال الإرشاد ، وكنا نعتبرها من صميم الفطرة ، كحب الوطن ، والأسرة ، وفى غنى عن التوجيه والتربية .

ماذا يجرى اليوم فوق أرض مصر المحروسة ؟ الإشاعة تُصَدَّقُ ، والريبة تنتشر ، والاعتداء يقع ، والكآبة تنشر جناحها فوق القلوب الحزينة .

كيف يحدث هذا التدهور ؟

لعل جراثيم مؤذية تتسلل إلينا من الخارج . لعلها آلام الحروب

المتعاقبة واحتدام الأزمة الاقتصادية . لعلها بعض رواسب الحُكم الشمولى التى تبطىء انطلاقة الديمقراطية . لعلها الاصطلاحات المنحرفة التى تتردد بغير حساب عن الصليبية وتستهين بالوطنية وتفرق بين أبناء الأمة الواحدة . الوحدة الوطنية هى أساس حياتنا ، وهى المنطلق إلى أى وحدة أشمل .

اليوم ينادى المصلحون بالحوار والرأى والحزم ، ولكن الأمر يدعو إلى نشاط أكبر ، نشاط يُعَرِّفُ كُلَّ حزب وكل نقابة وكل هيئة دورها الوطنى فيه . إنهم يجتمعون من أجل الإصلاح السياسى والدستورى ، وهذا حسن ، والوحدة الوطنية لا تقل فى أهميتها عن تلك الأهداف السامية إنْ لم تزد .

أَسْمِعُوا الجميع رأيكم عاليًا ، ثم انطلقوا إلى قاعدة الشعب بالمثال الطيب والكلمة الطيبة .

٢٢ / ٣ / ١٩٩٠

طوق النجاة

لعله لا يوجد خلاف بين الأغلبية الساحقة من المصريين على الإيمان بالدين ، ولكن يوجد خلاف ولا شك عن علاقة الدين بالدنيا ، منهم من يرى فى الدين علاقة حميمة بين الإنسان وربه ، وقوة يستمد منها روح النضال ليجعل من دنيا الله مأوى طيبًا للبشر يتجسد فى أركانه الحق ، والعدل ، والحرية ، والعلم ، والجمال ، والحب ، وهم يستوحون الشريعة ، ويحثون على الاجتهاد والانفتاح على العالم وحضاراته وثقافته ، مع الحرص الجميل على الوحدة الوطنية ، وحقوق الإنسان والأصالة . ومنهم آخرون يغلون فى دينهم غُلُوًّا يدفعهم إلى تجاهل الزمن ، وتجاوز السماحة ، والميل إلى العنف ، وسوء الظن بالآخرين إنْسًا وأفكارًا وحضارات وثقافات .

ولن يُحْسَمَ الخلافُ بين الفريقين إلا فى جو الحرية والحوار واحترام حقوق الإنسان ، من أجل ذلك فإننى أدعو إلى إطلاق حرية تكوين الأحزاب ، والعمل الصريح المعلن ، والتنافس المشروع بالبرامج المفصلة ليعرف كل فرد منطلقه وماله . ومن أجل ذلك أيضًا فإننى أدعو جميع التيارات المنتمية للفريق الأول الاندماج فى جبهة وطنية واحدة تحت أى اسم قديم أو حديث . أدعو الحزب الوطنى والوفد والعمل والأحرار والناصريين والتجمع إلى هذه الجبهة المفتوحة . والحق أنه لا يوجد

خلاف حقيقى بين الوطنى والوفد ، والأحرار والعمل ، كذلك لا يجوز أن يوجد خلاف مع الناصريين والتجمع بعد التغييرات العالمية والتطور الذى يشكل اليسار العالمى تشكيلا جديدًا لا يخشى على عقل أو بصيرة .

إننا نتلقى كل يوم نذيرًا جديدًا يدعو إلى إعادة النظر والأوضاع فوق خلافاتنا التاريخية ، وذكرياتنا الأليمة ، من أجل إنقاذ مصر ووحدتها وتقدمها لتحل فى المنزلة اللائقة بها فى هذا العصر .

اللهم أَنْزِلْنَا منازلَ الشاكرين على الهداية لا النادمين على الغواية .

١٩ / ٤ / ١٩٩٠

طائفية حقيقية وطائفية عارضة

يندر أن يتميز مجتمع بالتجانس الكامل فى جميع النواحى العِرقية والدينية ، ولكن الاختلاف لا يؤدى دائمًا إلى الفتن والمشاكل المزمنة ، والطائفية لا تصبح مشكلة حقيقية ونزاعًا أهليًّا إلا إذا تعذر السلام واستحال الوفاق ، وأنذرت المعاشرة بالعواقب الوخيمة ، كالحال بين البيض والزنوج ، أو بين الهندوس والمسلمين .

مصر تخلو من الطائفية بهذا المعنى ، وهى لم تعرفها فى أى عهد من العهود ، تعايشت فيها الأجناس والديانات فى سلام . وانحرافاتها فى ذلك الشأنِ لا تتجاوز انحرافات الأقارب فى الأسرة الواحدة ، والقرية المصرية خير شاهد على ذلك بما تأوى بين جناحيها من أصول مختلفة وديانات متباينة ، وكذلك الحارة ، ولكن من الحق أن نقول : إن المعاشرة لم تخلُ أحيانًا من توترات تشتد أو تخف تبعًا للظروف والأحوال ، ويمكن إرجاعها جميعًا إلى أسباب اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ، تفسد الأمور بفسادها وتصلح بصلاحها .

تعال نَتَقَصَّ الأسباب لنزداد فهمًا لواقعنا فنزداد قدرة على تقويمه :

قد يجىء التوتر من الدولة نفسها إذا مارست التفرقة بين أبنائها فى الوظائف والمعاملات ، وليس التعصب هو الدافع ، بدليل أن التفرقة

تمارس أيضًا بين المسلمين لحساب أهل القمة . إذن فالعيب يكمن أساسًا فى سوء الإدارة والفساد والاستغلال ، والصلاح يجىء بالنزاهة والاستقامة والعدل ، فيتحقق الاستقرار والطمأنينة للمسلمين والأقباط معًا .

وقد يجىء التوتر من الاستبداد ، حين يستأثر فرد أو جماعة قليلة بالسلطة ويحرم الشعب من المشاركة . والحق أن الحرمان يقع على الجميع ، ولكن المنتمى إلى الأقلية يظن أنه هو المقصود به ، ولا علاج لذلك إلا بالديمقراطية واحترام حقوق الإنسان .

وقد يجىء التوتر من سوء الحال الاقتصادية ، والخوف من الفقر ، حيث يضيق الإنسان بنفسه وبأسرته وبجيرانه .

وقد يجىء التوتر من خطورة تيارات متطرفة تنادى بالعداوة وتميل إلى العنف ، ولكن هذه التيارات تتجاوز حجمها الطبيعى بمن ينضم إليها من الساخطين على الحياة نتيجة للانحراف الإدارى والسياسى والاقتصادى .

إن ما يكدرنا اليوم من توتر طائفى لا علاقة له بالطائفية الحقيقية ، إنه توعك عارض نتيجة لحال عامة ، ونذير يحث على مضاعفة الجهد لإحْدَاث وثبة إصلاحية . إنها مشكلة حضارة لا مشكلة خصام دينى .

١٩٩٠/٥/٣

إعادة النظر

أبدينا الرأى فى الانحراف الدينى وما يفرزه من عواقب وخيمة على النهضة والفكر ووحدة الأمة ، وربطنا تضخمه بالمناخ السياسى والاقتصادى والإدارى ، وكيف أن الإصلاح الشامل خليق بأن يعيد إلى المجتمع توازنه ويرد إليه ما أثر من استقامة وتسامح ووطنية ، ولكن ذلك لا يمنع من أن نعالج الموضوع على مستواه الفكرى البحت ، كعقيدة ودعوة ، لنسد الثغرات إنْ وُجدت .

أقول : إن الإسلام دين إنسانى شامل ، يشع مبادىء خالدة ، كالحرية ، والعدالة الاجتماعية ، وحقوق الإنسان ، والتسامح ، والحب المكين للعلم والعمل ، إلى اتسامه بالاعتدال وتجانبه عن المغالاة ، ودعوته المؤثرة إلى دار السلام . على حين أن التيارات المنحرفة تتصف بالمغالاة والتعصب وضيق الأفق ، ولا تتورع عن استعمال العنف والدعوة للحقد والكراهية .

كيف تشتد تيارات من ذلك النوع حتى تكدر صفو دين بذلك الصفاء ؟ ! أَلَمْ يكن الأجدر بالدين أن يصمد حيال السياسة والاقتصاد والإدارة ، وأن يكون درعًا ضد الفساد والانحلال والانحراف ؟

وما يدعو للدهشة أن الدين الحقيقى يملك مؤسسة الأزهر

ومعاهدها ، والآلاف من الأساتذة والدعاة ، وفى مقدمتهم رجال يُعَدُّون مفخرة للعقل والضمير . كما يملك جميع وسائل التربية والاتصال ، من مدارس ومساجد وإذاعة وتليفزيون ، فى حين أن التيارات المنحرفة لا حيلة لها إلا الدعوة السرية والوسائل المباشرة المحدودة . أَلاَ يدعونا ذلك إلى إعادة النظر فى المنهج والإعداد ؟ . ما دور المدرسة كما ينبغى له ؟ وما دور المساجد ؟

ما دور الإذاعة مسموعة ومرئية ؟ .

ليست العبرة بالكم ، ولكنها بالكيف ونوعية الرجال ، والسؤال المطروح اليوم وغدًا هو : كيف تكون التربية الدينية ؟ وكيف تكون الدعوة الدينية فى عصر المعلومات والبث المباشر والثقافة الشاملة بدون حواجز ؟

ما أكثر ما عندنا من رجال دين مستنيرين ، وما أكثر مالدينا من مفكرين مستنيرين ، ومن يعمل للدين فإنما يعمل للدين والدنيا معًا .

١٠ / ٥ / ١٩٩٠

عودة إلى الانتماء

يطلق الانتماء على الولاء والحب ويقظة الشعور بالمسئولية ، وهو يتجلى أقوى ما يتجلى فى العمل ، وقد تعبر عنه الكلمة فى الكتابة أو الكلام ، وقد يضطرم به القلب حبًّا صَادِقًا ، وهو أضعف الإيمان ، وخير نموذج للانتماء هو ما يربط بين أعضاء الأسرة ، ولكنه ينشأ فى هذه الحالة بما يشبه الغريزة ، ودونما حاجة إلى مجاهدة أو تربية . أما الانتماء إلى المجتمع فهو خُلق واكتساب وتربية ، يتكوَّن نتيجه لتجمع الإنسان فى بيئة محددة تقوم على التجاور والتعاون ، ويخضع لمؤثرات نفسية واجتماعية وحضارية ، وتمر به ظروف ترتفع به إلى ذروة القوة ، وتعترضه ظروف أخرى توهن من قوته ، وربما هبطت به إلى هاوية الفناء .

فى ظروف النهضة ـ كما فى ظروف الشدة ـ يشتد الانتماء ، حتى لَيُضَحَّى بالانتماء الأُسرى ، وفى ظروف الانحلال والتراجع يضعف الانتماء العام ، فلا يبقى إلا الانتماء إلى الأسرة ، وربما اشتد التدهور فلا يبقى إلاَّ انتماء الفرد لذاته ، والسؤال الذى يتحدَّانا فى هذه المرحلة من حياتنا هو : كيف نُقوى انتماءنا العام حتى نجعل منه دعامة للتصدى للتحديات وبناء مجتمع جديد صالح ؟ إنه لا نهضة حقيقية بغير انتماء حقيقى ، بل إن درجة النهوض تتناسب تناسبًاطرديًّا مع درجة الانتماء، فالإنسان هو الأساس ، هو الذى يضمن نجاح كافة العوامل الأخرى ،

إنه أهم من المال والتكنولوجيا والتخطيط ، وبدون الإنسان المنتمى المال يُنهب ، والتكنولوجيا تفسد ، والتخطيط يصبح حبرًا على ورق ، ولكن ما هى العوامل التى تؤثر فى الانتماء قوة وضعفًا ؟ إنها :

١ ـ التنظيم السياسى ، فالنظام الذى تقوم فيه الدولة بكل شىء ، والذى لا يقوم على المشاركة الشعبية الفعالة ، يدعو المواطن إلى التخلص من حَمْل الأمانة ، وتغريه بالاهتمام بشئونه الخاصَّة وحدها ، هذا إذا وفق النظام فى إنجاز مهمته وتحقيق أهدافه ، أما إذا أخفق أو غلب عليه الإخفاق فقد يتمادى الاهتمام بالذات إلى لا مبالاة وسلبية صارخة وسخط على الدولة ، وقد يضيع الفرد بين ذلك وبين يأس قاتم ، فيتورط فى الجريمة والمخدرات .

٢ ـ مناخ المجتمع العام وما يسوده من سلوك يتجلى فى معاملته للفرد، يرهقه فى الحصول على ضرورات حياته ، من غذاء ، وكساء ، وتعليم ، وصحة ، ونظافة ، ومواصلات الخ . ولا يحترم حقوقه كإنسان فى الطريق والمصالح الحكومية ، حتى ليشعر المواطن فى النهاية أنه يعيش فى مجتمع معادٍ يضن عليه بالحب والاحترام ، فيبادله كراهية بكراهية ، واحتقارًا باحتقار .

٣ ـ الاستهتار بالقيم والقانون ، وما يتبعه من تسلط الانتهازيين والمنحرفين ، فيجد المواطن نفسه بين اثنين : إمَّا التمرد على المجتمع ، أو السقوط فى هاوية الانحراف .

وإذن فلكى نخلق الانتماء ، علينا ـ مع العناية بالتربية والإعلام والمواعظ ـ أن نُقَوِّمَ الحُكم بالديمقراطية ، وأن نعالج الإدارة بالحَزْم والرقابة ، وأن نطارد الفساد والمفسدين بلا هوادة .

٢١ / ٧ / ١٩٩٠

نحو تربية حديثة

التربية مسئولية عامة خطيرة بما تمثل من عناصر أساسية فى بناء الشخصية الإنسانية ، لذلك يجب أن نهتم بها الاهتمام الواجب فى جميع مراحل التعليم وأجهزة الإعلام لنقيم أساسًا متينًا للفرد ، وقاعدة بشرية جديرة بالحياة فى هذا العصر . ونحن نولى التربية الدينية والقومية ما تستحق من عناية ، ولكن لابد من إضافات أخرى ، تنضم كدراسات حرة ، أو فى كتب القراءة ، وغير ذلك من وسائل الاتصال الحديثة .

فى مقدمة ذلك التربية الثقافية التى تستهدف خَلْق المواطن المُحِب للمعرفة ، والمتذوق للجمال فى كافة صوره الفنية والطبيعية ، مما يقتضى نشر المكتبات فى المدارس ، والمجلات ، وفرق التمثيل ، والموسيقى ، والشعر ، والخطابة . ومن الأهمية بمكان عرض تاريخ الحضارات لإيضاح ما قدمه كل شعب للإنسانية من إنجازات روحية ومادية ، وليكون تنوع الحضارات مدخلا للتفاهم ، وتبادل التقدير بديلاً من الجفوة وسوء الظن .

كذلك يجب أن يلم أبناؤنا بما يتيسر من مبادىء المنهج العلمى ، لا باعتبارها بابَ النجاح للعلم وإنجازاته فحسب ، ولكن أيضًا بوصفها المنهج الصحيح للتفكير السليم . والضمان لسلامة العقلْ وصَوْنه من

الانحرافات والآفات التى تخضعه لتسلط الانفعالات والتعصب ، وتحرره من قبضة الخرافات والترهات التى تزيف الحقائق وتوقف التقدم .

وأخيرًا وليس آخِرًا ، يجب الاهتمام اهتمامًا خاصًّا بحقوق الإنسان : فى فكره ، وعقيدته ، وسلوكه ، والتعامل معه ، لينشأ الأبناء على احترام أنفسهم ومواطنيهم والناس جميعًا ، وليحظى الفرد عندهم بما يستحق من احترام وتقديس .

إن الاهتمام بتلك القيم هو اهتمام بالإنسان والإنسانية ، اهتمام بالعقل والفكر والديمقراطية الحقة كما تجرى فى الحياة اليومية . هو فى النهاية الحضارة التى يجب أن نتحضَّر بها فى العالم الحديث للتكيف معه ، واكتساب القدرة على العيش فيه بنجاح وسعادة وكرامة .

١ / ٨ / ١٩٩١

بين الحب والكراهية

من طرائف البحوث ما تقوم به وزارة العدل الأمريكية من رصد وتسجيل للجرائم التى تُرتكب بدافع الكراهية فى الوطن الأمريكى . ولا شك أن وراء ذلك النشاط رغبة حكيمة فى فهم المجتمع وما يؤثر فى العلاقات المتبادلة بين أفراده وجماعاته ، للارتقاء بالتشريعات مستقبلا لِتَجِيءَ مُطابِقَةً لواقعه ، مُعالِجَة لأدوائه ، مُهَذِّبَة لسلوكياته ، وحافظة لحقوق الإنسان فيه . سوف يكشف ذلك الرصد عن مدى الأثر الفعلى للعنصرية ، وتبايُن العقائد ، وفوارق الطبقات ، وتضارب الثقافات والإحباطات الجنسية والعاطفية ، والصراعات الاقتصادية ، وخصام الأجيال المتتابعة .

حقًّا إن الحياة الاجتماعية هدف إنسانى قديم ، وهو فى مضمونه يقوم على التعاون ، ومن أجل التعاون فيما يحقق للإنسان أمنه وأمانه وتقدمه ، ويكرس واجباته وحقوقه ، ويمهد له السُّبل للإبداع والرقى ، ولكن الأنانية والمنافسة وتفاوت الإمكانات تفسح مجالا واسعًا للظلم والبغى ، والقهر والضياع . وقد تصدت لذلك على مدى التاريخ الديانات والمذاهب ، مستهدفة العدل والتوازن والرحمة ومحاربة البغى والفساد . وما القَدْرُ المتاح من السعادة للبشر إلاَّ الثمرة التى يفوز بها فى معركة الخير والشر ، أو القانون والفوضى ، أجَل ، إنَّ السلوك البشرى يحتاج

إلى مراجعة دائمة ويقظة ساهرة ، ويتجلى ذلك فى نهضاته الدينية ، وتجديداته المذهبية ، وفتوحاته الفكرية . إنه فى حاجة دائمة إلى ما يُفَجِّرُ طاقات عقله ، ويقوى إرادته ، ويؤجج حبه للخير . إنه بحاجة دائمة إلى قهر عواطف الكراهية والشر ، وتربية عواطف الخير والحب لمواطنيه خاصة ، وللبشر عامة .

ليت كل فرد منا يسأل نفسه قبل النوم عَمَّا فعل به الحب ، وعَمَّا فعلت به الكراهية ، ليعرف أى إنسان هو ، وأى طريق يسلك .

هذه هى معركة الإنسان الأبدية ، وهذا هو قَدَرُهُ .

١٥ / ٨ / ١٩٩١

عودة للغزو الثقافى

قضية ما يسمى بالغزو الثقافى قضية جديرة باهتمام الناس جميعًا على اختلاف مواقفهم وتَوَجُّهَاتِهم ، ويمكن أن نلخصها فى الكلمات الآتية : كيف نتعامل مع الحضارات والثقافات المعاصرة لنا على مستوى العالم؟ . وهى قضية لا يمكن إدراك أبعادها وتقدير عواقبها إيجابًا وسلبًا إلا على ضوء العصر و إمكانياته ، وطبيعة الحياة فيه .

قديمًا كان قوم يدعون إلى فتح النوافذ للحضارة المتفوقة ، والتسليم لها بدون قيد أو شرط . وآخرون دَعَوا إلى إغلاق النوافذ ـ فيما عدا ضرورات العلم ـ محافظة على الأصالة ، وإيثارًا للسلامة . وفريق معتدل تطلع إلى اختيار ما ينفعه ، ونَبْذ ما يضره ولا يتوافق معه . وكان من الممكن ـ فى ذلك الزمان ـ السيطرة على رسم سياسة يُتفق عليها عن طريق البعثات ، والترجمة ، والتربية ، والإعلام .

لكننا نعيش اليوم فى عصر جديد ، عصر المواصلات السريعة ، والسياحة ، ووسائل الإعلام الحديثة التى ستشق طريقها بدون رقابة أو ضوابط . إنه عصر يتعامل مع الأطراف باعتبارها أطرافًا فى جسد واحد ، إنه عصر يبشر بِالتَّوَحُّدِ والاختلاط والامتزاج ، وكَسْر الحواجز ، وإلغاء الحدود المعنوية والمادية .

فى ضوء هذه الحقائق يجب أن نعيد نظرتنا للقضية ، فلا نعتمد على الرقابة أو القوة ، سوف يتردد كل رأى وكل تيار وكل ذوق وكل عادة فى كل بيت بصراحة ووضوح . سيكون صراع رهيب لخَلْق حضارة واحدة وثقافة واحدة ، وسيبذل كل إنسان من خلال ذلك الصراع جميع ما يملك من معرفة وذكاء .

والتوحد فى الحضارة والثقافة لا يعنى بالضرورة إلغاء الذاتية والخصوصية ، فحتى فى الحضارة الواحدة فى الوطن الواحد لم تمنع من وجود ثقافات متباينة فى شتى أقاليمه .

وإذا فقدنا وسائل الرقابة المألوفة فيمكن بالتربية الرشيدة أن نحل محلها رقابة ذاتية تعتمد على النقد والقدرة على الاختيار . أجل ، لابد من تربية ديمقراطية تقوم على الحرية والاستقلال والمناقشة والحوار .

فما يبقى لنا سوى أن نربى أبناءنا التربية العقلية السليمة ليكونوا قادرين على التصدى لكل جديد بدون تحامل أو تعصب من ناحية ، وبدون انبهار وتسليم من ناحية أخرى .

وسوف يتقرر البقاء للأصلح والأنفع والأجمل .

١٩٩١/٩/٥

من الشدة إلى الفرج

نحن نعيش فترة انتقال وعلى مفترقٍ من الطُّرُق ، بل أصبح هذا القول يصح على العالم أجمع على تفاوت درجاته من التقدم . حسبك أن تتذكر ما يجرى فى العالم الاشتراكى ، وفى أوروبا ، وفى آسيا ، فضلاً عن العالم الثالث . وفترات الانتقال فترات شديدة الحرج ، مفعمة بالآلام كمثل ما تكون فى حياة الأفراد عند الانتقال من الطفولة إلى الصبا ، أو من الصبا إلى المراهقة ، أو عند التردى فى الشيخوخة ، فعلى مستوى المجتمعات يضطرب الناس عادة بين التطرف من ناحية كوسيلة للمواجهة يميناً ويساراً ، والسلبية من ناحية أخرى كهروب من أعباء المواجهة ومتاعبها . وبين هؤلاء وأولئك يسقط أناس فى الجريمة أو المخدرات أو الانحلال والأنانية .

وما هو بالسهل الميسور أن نخرج من عالمنا الثالث إلى العالم المتطور ، ولا هو بالسهل الميسور أن نجد حلاً موفقًا بين السلفية المطلقة والواقعية المطلقة ، أو ميزانًا عادلاً بين سُلطة الدولة وسُلطة الشعب ، أو بين زَهو القوة وحِكمة القانون ، أو بين الأهواء الجامحة والمنهج العقلانى العلمى ، أو بين الانطوائية والعالمية التى توشك أن تغزونا فى مجالسنا العائلية . ثم إننا لا نُتْرَك لمجرى الزمن وحده ولا لتطور التاريخ ، فها نحن نحمل

أعباءً إضافية من مشكلات كالجبال ، مثل التكاثر السكانى ، والديون ، والبطالة ، وقلة الموارد .

وهكذا إنَّ حُسْنَ وعى الفرد وقع فريسة للحيرة والكآبة ، وإذا ساء وعيه غرق فى ذاته فمَاتَ وهو حَىّ أو حَيِىَ وهو ميت .

إنها فترة الانتقال ، فترة العذاب ، ولكنها أيضًا فترة العمل والجهاد ، ومبعث الخلق والإبداع ، ومولد القادة والأبطال . هى الامتحان التاريخى للهمم والعزائم ، ولا محيد فيها عن النجاح ، لأن البديل هو الموت ، ونحن لم نُخلق لننتحر .

٢٤ / ١٠ / ١٩٩١

المرشد فى الظلام

العقل أعظم هدية حَظِىَ بها الإنسان ، وعلى الإنسان أن يدرك أنه لم يَحْظَ بها لغير ما هدف ، ولكن لتكون مرشدة فى الحياة مثلما أن الغريزة مرشد للحيوان . أجل ، توجد مجالات لا حيلة للاقتراب منها إلا بالوجدان والذوق والإلهام ، أما الحياة الباقية ، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والطبيعية فيجب أن تعتمد أولاً وأخيرًا على العقل . لابد من منهج علمى وتخطيط ونظرة شاملة تستند إلى تخصص وثقافة ، وتتحاشى الأهواء بموضوعية وتحرر من الأفكار السابقة ، تجرى فى حرية كاملة ، فى التصور والأداء ، لاضابطَ لها إلا المسئولية الإنسانية العامة ، واختيار الفرد لمواقفه ومصيره .

ويمكن أن نقيس درجة التحضر بمقدار الدور الذى يلعبه العقل واحترامه ، وعلى هذا الأساس تتحدد مكاسبنا وخسائرنا . ولنقدم شاهدين من حياتنا :

١ ـ قضية فلسطين . اندفعنا فيها بانفعالاتنا ، البعض يجهل أبعادها ، والبعض يتجاهلها ، فلم نسلم بالموقف الواقعى إلا اليوم . لو سلمنا به فى حينه لأنقذنا أرواحًا لا تحصى ، وأموالاً لا تعد ، وزمنًا يكفى لبناء أمة .

٢ ـ قضية سلمان رشدى . اندفعنا فيها بالعواطف والمظاهرات والفتاوى ، فهيأنا للكتاب انتشارًا كالنار ، وعرضنا بسلوكنا وأقوالنا الإسلام لكل لكل ناقد أو متربص ، وما كان الأمر يتطلب أكثر مِنْ تجاهله ، أنْ نُعْرِضَ عن الجاهلين ونمضى فى سبيلنا ، أو أن نناقش النص ناقدين مُحَلِّلِينَ ، ثم نترك الكتاب ليلحق بمئات الكتب التى هاجمت الإسلام منذ القرون الوسطى وحتى اليوم ، وبقى الإسلام ونَمَا وانتشر ورسخ .

العقل يا سادة هدية سامية ، وفى وسعنا أن نرعاه فى المدارس وأجهزة الإعلام ، ولكن علينا أن نؤمن به أولاً .

٥ / ١٢ /١٩٩١

سنة الحياة

الحياة لا تتوقف ، تيارها يجرى فى تدفق دائم ، تجىء كل يوم بجديد، ثم يصبح الجديد قديماً ، ويهل جديد تال . فعلى من يريد أن يحيا فى تيارها المتدفق أن يتحلى بصحوة شاملة ومستمرة ، صحوة تشمل الروح والعقل والإرادة ، وتكرس الحرية كوسيلة ناجعة ، وغاية إنسانية سامية . نعنى بالحرية انطلاق الفكر والخيال والسلوك والاختيار والاختبار . فى الوقت نفسه نعلم أن ذلك كله يمارس فى مجتمع بشرى ، وفى ظل قانون عام ومبادىء وتقاليد . ولكنا نعلم أيضًا أن القانون والمبادىء والتقاليد يجب ألاَّ تتخلف عن التيار المتدفق ، يجب أن تتجدد وتثرى رؤيتها وأسلوبها ولغتها ، وأن تكون معاملتها متفاعلة مع حركة الحياة ومتطلعة معها إلى غد أفضل .

يجب أن تسقط الأوراق الصفراء الجافة لتنبت محلها أوراق ناضرة خضراء مترعة بماء الحياة . فى سبيل ذلك يجب أن يبذل الإنسان جهده ويتدرَّع بشجاعته ، ويستضىء بعقله وروحه ، ولو ضَحَّى من أجل ذلك براحته وأمنه وحياته . يجب أن يقهر الخوف ويعلو فوق الرغبة المثبطة ، ويعتبر الموت جزءًا من الحياة ، ويقبل الأمانة بوصفها « الجدية» التى لا تتحمل الجدل .

إن أى قوة تعترض سبيل الإنسان محاولة اعتقال تطلعه الشريف نحو المعرفة والعلم والإبداع والتجديد لَهِيَ قوة من قوى الظلام والتخريب ، وحليف من حلفاء الشيطان والاندثار . وما من جماعة بشرية تستحق هذا الوصف يمكن أن تتراجع أو تتساهل مع تحديات الظلام ، أو ترضى بأن تقع فريسة لمخالب الشيطان ، وكنا نود أن نحشد الطاقة كلها للبناء والتعمير والإبداع ، ولكن يعزينا بعض الشيء أن التصدى لعوامل الهدم نوع من البناء .

١٩ / ١٢ / ١٩٩١

عبدة الصهيونية

يعيش بيننا قوم يتصورون أنهم العدو الأول للصهيونية العالمية ، يقفون لها بالمرصاد ، يفضحون أسرارها وخباياها ، ويكتشفون يومًا بعد يوم قواها الخفية ، ويميطون اللثام عن أخطبوطها الممتد شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا برغم ضآلة الحجم البشرى الذى تمثله ، لا يعترفون بِصُلْحٍ ، ولا يدعون لسلام ، ويرفعون إلى الأبد شعار الجهاد والقتال .

انظر كيف يرون الصهيونية ؟ إنهم يرونها قوة عائلية تسيطر بدهائها وتدبيرها على الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وأوربا الغربية . تسوق الجميع إلى الطريق الذى يحقق ذاتها ومصالحها وأهدافها المعلنة والخفية . يرونها القوة التى شكلت التاريخ البشرى متنكرة فى كل عصر فى القناع الذى يُناسبه ، فهى مُشعلة الثورة الفرنسية ، وثورة أكتوبر الروسية ، بل كانت وراء الثورة العربية ، وثورة ١٩١٩ ، وكل حركة تاريخية .

وما الحرب العظمى الأولى إلا مؤامرة صهيونية ، وما الحرب العظمى الثانية إلا مؤامرة أخرى ، وما من هيئة علمية أو أدبية أو فنية ، أو نظرية نفسية أو اجتماعية إلا والصهيونية محركها وموجهها ومستقبلها والقاضى فيها بما هو قاض ، إذن فالكُرَة الأرضية مرتادها ، ولعبة فى يدها ، وحركة من نفثات أفكارها ، ولعلها تتطلع الآن للهيمنة على الكون والقوى الخفية والمصائر الأزلية .

هذه هى صورة الصهيونية كما تتمثل فى عقول الصناديد من أعدائها، لقد رفعوها إلى منزله الألوهية وعبدوها وهم لا يعلمون ، وإن صح أنها كذلك ، أفلا يكون من خير البشرية أن تسلم لها وتدعوها لقيادتها لتخرج بها من الظُّلمات إلى النور ؟!

يا عبدة الصهيونية ، نحن لا نعبد ما تعبدون ، ولا نتمرغ فى الأوهام، ولا ننحت الأوثان ، ولا يُوبقنا شعور بالدونية والابتذال ، نحارب ونسالم ونصالح وكلنا ثقة بالناس وبالبشرية وبمالك الملك . نسأل الله الشفاء لكل ذى مرض .

١٩٩١ / ١٢ / ٢٦

التـــوازن

متى نرجع إلى التوازن ؟ متى نرجع إلى التوازن الاقتصادى ، والتوازن الأخلاقى ، والتوازن النفسى ؟ متى وكيف نخرج من مسلسل المعاناة والكوارث ؟

الدواء الذى أقترحه هو أن نرفع مرتبات العاملين فى الحكومة والقطاع العام إلى حد الأمان الكامل ، بحيث يعود إليهم الاستقرار المادى والنفسى ، ويطمئنون حيال تحديات الحياة على أنفسهم وأسرهم ، ولا يشغل بالهم غول الغلاء واحتمالات المستقبل المجهول .

ولعل المسئولين يتمنون ذلك ، ولكنهم يتساءلون طبعًا من أين يجيئون بالمال الكافى ، وإذا خصصوه لهذا الغرض فماذا يتبقى للتنمية ، وبخاصة أنه إنفاق بلا عائد ولا تعويض ؟!

المشكلة أن هؤلاء الموظفين هم القائمون على العمل فى جميع الأنشطة الإنتاجية الهامَّة وجميع الخدمات . واختلالهم الإدارى والنفسى الناتج عن عجز رواتبهم ينعكس بعنف على الإنتاج والخدمات ، بل قد أضفى على حياتنا بصفة عامة طابعًا مؤسفًا من الإهمال والتسيب واللامبالاة ، وربما أسهم فى خَلْق انحرافات خطيرة ، كالتطرف ، فضلاً عن أنه فى ذاته ظلم لا يقبله عقل أو قلب .

ولا أظن أن الإقرار لهم بحقهم كاملا مجرد خسارة مادية بلا مقابل ، بل لعل نتائجه أهم مما يتصور الكثيرون . وإنى أسوق بعضها على سبيل المثال :

أولا : أنه يعيد الاستقرار المادى والنفسى إلى عدد من المواطنين لا يُستهان به ، قد يبلغون ـ إذا أضفنا إليهم من يعولون ـ خمسة وعشرين مليونًا من الأنفس . وتحقيق السعادة لهذا الكم من المصريين إنجاز عظيم ، وما الهدف الأخير من أى تنمية إلاَّ إسعاد المواطنين ورفع مستواهم الروحى والمادى .

ثانيًا : بعودة التوازن إلى الموظفين يمكن أن يتفرغوا لواجبهم فى الحكومة والقطاع العام ، وأنْ يقبلوا على عملهم برغبة جديدة وهمة مضاعفة ، وأن يتعاملوا مع الشعب بأسلوب جديد يتسم بالاحترام والتعاون ، والنتيجة المتوقعة لذلك زيادة فى الإنتاج قد تعوض ما أخذوه، والتخفيف من معاناة الناس فى قضاء مصالحهم .

ثالثًا : تستعيد الدولة هيمنتها على رجالها ، وتطالب بحقها كاملا نظير الحق الذى أعطته لرجالها كاملا ، فتتحسن الإدارة ، ويعلو صوت القانون ، وتستقر هيبة الدولة .

رابعًا : سيكون لذلك كله عواقبه الحميدة فى الارتفاع بمستوى الأخلاق ، والانتماء الوطنى والثقافة ، والصحة ، ومقاومة النزعات المتطرفة . والله معنا فى جميع الأحوال .

٩ / ١ / ١٩٩٢

مناظرات دينية ومدنية

تتابعت المناظرات بين أنصار الدولة الإسلامية وأنصار الدولة المدنية، وقد رحبنا بذلك لتوافقه مع روح الديمقراطية التى تفضل الحوار على التعصب والإرهاب ، وفى الوقت نفسه وجدنا أن كل فريق ـ رغبة فى الانتصار على الآخر ـ لا يكتفى بتبيان مزايا تصوره السياسى ، ولكنه أيضًا يتصيد نقاط الضعف فى التصور المعارض ، فلا تخلو مناظرة من هجوم على الحضارة الحديثة ، كما لا تخلو من تشنيع ببعض المواقف التاريخية الإسلامية ، وخشينا أن يدفع التكرار للطريق الإسلامى إلى سوء ظن شامل بالحضارة الحديثة ، كما يدفع المدنيين إلى موقف قريب من ذلك ، من الإسلام نفسه .

لقد وجدنا فى الفريقين صفات متقاربة يجب أن نذكرها ، فكلاهما يؤمن بالحوار والعقل ، وكلاهما يدين الأفكار المتطرفة والإرهاب ، وكلاهما لا يمكن أن يرفض الحضارة الحديثة بصفة شاملة ، أو يستهين بالعقيدة الإسلامية ، من أجل ذلك تمنيتُ أن يقلع الجانبان عن المناظرة، وأن يتلاقيا فى اجتماع موسع لمناقشة هادئة موضوعية للبحث عن نقاط الالتقاء ، والاجتهاد فى اقتراح دستور يجمع بين المبادىء الإسلامية الثابتة والحضارة الحديثة ، وياحبذا لو ضموا إليهم نخبة من إخواننا الأقباط ، باعتبار أن الدستور سُيطبق على الجميع ، وسوف

يجدون مراجع يستضيئون بها ، منها على سبيل المثال المتواضع لا الحصر، مشروع الدستور الذى قدمه الدكتور محمد حلمى مراد ، ورسالة الدكتور كمال أبو المجد ، وكتاب الأستاذ حامد سليمان : « العلم فى طريق الصحوة الإسلامية » .

والحق أن مسافة الخلاف بين الفريقين ليست بالطول الذى يتصوره الكثيرون . إنهما يتبادلان سوء ظن لا يقوم على أساس حقيقى ، ولو قدم الإسلاميون برنامجًا مفصلاً لتلاقَى أكثر الخلاف إنْ لم يتلاشَ كله . ولو تراجع الإسلاميون عن اتهام الآخرين فى عقيدتهم لصفا الجو وتهيأ لتفاهُم مثمر .

وأنا لا أشك فى أن « المدنيين » يطالبون بالفصل بين الدولة والحكومة الدينية ذات الحاكم المعصوم ، ولكن أحدًا لا يستطيع أن يفصل بين الدولة وبين الدين نفسه إلا إذا أرادها دولة بلا قيم ولا أخلاق .

وحتى لو افترضنا قيام حكم مدنى صرف ، فلابد أن تصدر قوانينه الوضعية متأثرة تمامًا بالروح الإسلامية ، طالما أن المشرعين أنفسهم نَشَئُوا وتربوا فى أحضان ثقافة إسلامية لا يمكن تحدى قيمها الثابتة التى يؤمن بها الشعب .

لذلك أتمنى أن يجتمع الفريقان لتبادل الأفكار ، والعمل معًا بعيدًا عن مشاعر الخصومة وسوء الظن ، وسعيًا وراء وفاق قد ينقذ الصحوة الإسلامية من محنتها .

١٢ / ٣ / ١٩٩٢

العنــف

العنف كاد يصبح ظاهرة فى حياتنا . . أجل ، لا يخلو عصر أو مجتمع من عنف ، ولكنه لم يكن ظاهرة تتكرر مع توالى الليل والنهار . وأنباء العنف لا تنقطع ، نسمع عنها فى مجال السياسة فى حكايات اغتيالات دامية ، وفى مجال الأسرة نسمع عن قتل الأبناء للآباء أو الآباء للأبناء ، وفى الشارع فى المشاجرات الدامية لأسباب تستحق أو لا تستحق ، وخطف الزوجات ، والاعتداء على الأعراض ، والسرقات بالإكراه ، وفى وسائل النقل ، حيث يمارس القتل علنًا وفى وسط الزحام، وطبعًا نذكر ما يقع فى المدارس بين التلاميذ والمربين ، وما يحدث بين الأزواج .

حقًّا لم يعد العنف استثناءً ، ولكنه ظاهرة ، بل يوشك أن تمر أخباره بدون إثارة تُذكر ، وكأنها لازِمَةٌ من لوازم الحياة اليومية . ولم يكن الزلزال إلاَّ مشاركة من الأرض وقواها الخفية فى مسلسل العنف ومعاركه . ونحاول أن نجد تعليلا للظاهرة ، فنحصى ما تزخر به حياتنا من سلبيات، مثل عنف السلطة فى المعاملة ، والأزمة الاقتصادية ، وسوء الخدمات ، والبطالة ، وانسداد الطرق أمام الشباب ، وعدم احترام حقوق الإنسان . والحق أنه لا يمكن إلاَّ أنْ يكون لتلك العوامل أثرها فى خلق ظاهرة العنف . ولكن العنف يطالعنا بعد ذلك فى أوطان هى المَثَل

فى الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والتوازن الاقتصادى والحضارى، مما يجعل من العنف ظاهرة عالمية ، ويزيد تعليله صعوبة وغموضًا .

ولكن يبدو أن الحقائق نسبية ، وأن نظرتنا إلى المجتمعات الراقية تختلف عن نظرة أهلها لها ، فهناك أيضًا توجد سلبيات ، وإنْ كنا لا نتصورها كذلك ، وها هى ذى الإحصاءات تحدثنا عن أكثر من ثلاثين مليونًا من البشر يعيشون تحت مستوى الفقر فى الولايات المتحدة ، أغنى بلاد العالم ، وملايين من مرضى الأعصاب والقلق وضحايا المخدرات ، وإضافة إلى ذلك فإن إحساس شعوب الأمم المتحضرة بنقصها أشد من شعورنا بنقصنا ، واحتجاجهم عليه أشد كذلك .

خلاصه القول : إن سلبياتنا تصلح تفسيرًا للعنف فى حياتنا ، وإن هدفنا الأول فى الحياة يجب أن يكون فى القضاء عليها ، وهو هدف واجب أيضًا بصرف النظر عن علاقته بالعنف ، بل لعل العنف يكون من دوافع النهضة ، باعتباره ردَّ فعلٍ وتحذيرًا وتحريضًا دائمًا عل الإصلاح .

١٩ / ٣ / ١٩٩٢

الإصلاح الاقتصادى

يحدثونك عن الإصلاح الاقتصادى بالأرقام والشواهد ، ولكنهم يستعملون لغة خاصة يفهمها أهل الخبرة والعلم ونخبة من المثقفين ، أما المطحونون بالأزمة فلا يفهمون هذه اللغة ، ولا يصدقونها ، وهيهات أن يعترفوا بالإصلاح إنْ لم تخفَّ وطأة الحياة وتَتَيَسَّر السبل .

إنهم يتحدثون عن استقرار سعر الصرف ومعدلات النمو ، وتحسين الميزان التجارى ، وتزايد استثمارات القطاع الخاص ، كما يَعِدُونَ بإصدار قوانين خاصة بالبنوك والودائع ، وتطوير سوق المال .

تلك إصلاحات حقيقية ، ولكن الإعلان عنها يتم بلغة خاصة ، ولعلها تخاطب فئات معينة من المواطنين ، أمَّا الرجل العادى فلا يفقه لها معنى ، وقد يمر بها بربع انتباه ، فهو لا يبالى إلاَّ بأزمته أمام غول الغلاء. وبمعنى آخر ، فإن الإصلاح يعالج مقومات الحياة الاقتصادية، ولكنه لا يصل إلى الشعب حتى يلد نتائجه الحتمية المأمولة، وتتضح آثاره فى الأسعار والمرتبات ، ومضاعفة الإنتاج ، ومطاردة الفساد والمفسدين . بغير ذلك لا يعترف الشعب بالإصلاح ولا يصدقه ، وبغير ذلك لا يمكن أن يجد الحلَّ لهمومه ومشكلاته ، ويستعيد توازنه وما عُرِفَ عنه من السماحة والتهذيب والاستقامة ، والبُعد عن التطرف والإرهاب . وبين إصلاح المقومات الاقتصادية

ونتائجها المأمولة طريقٌ ليس بالقصير ، وفترة انتظار حرجة . إنه موقف شديد يطالب كل مواطن ببذل كل ما يملك من رأى ـ لو قدر ـ للتخفيف من معاناة المطحونين ، والدفاع عن مصالحهم ، ونقد السلبيات التى تعرقل مجرى حياتهم ، مع تجنب المزايدة والإحراج والتحريض . إنه موقف يقتضى النقد البنَّاء ، والموضوعية ، والإخلاص والارتفاع عن الحزازات الشخصية لنكون أهلاً للدفاع عن عَمَلِنَا القومى ، وتضامننا البشرى فى أسمى معانيه .

١٩٩٢/٦/١١

فتح الطريق المسدود

يحدثونك عن الإرهاب فيربطون بينه وبين أشياء كثيرة ، مثل الفتاوى الخاطئة ، والأزمة الاقتصادية ، والفراغ السياسى ، والحكم الشمولى ، والاستهانة بحقوق الإنسان ، والإرهاب يمكن أن يكون ثمرة مُرة لجميع تلك الظاهرات مجتمعة ، أو لإحداها ، تبعًا للظروف والأحوال .

غير أنهم ينسون ظاهرة أخرى لا تقل عن أىٍّ من تلك الظاهرات عاقبة ـ إنْ لم تزد ـ ألا وهى انسداد القنوات الشرعية الموصلة للسلطة ، وما ينتج عن ذلك من إحباط ، وضيق لجيل صاعد يتطلع إلى حقوقه فى الحياة ، ومن بينها ـ وربما فى مقدمتها ـ حق تَبَوُّءِ السلطة .

الحق أن كل جيل جديد يتطلع إلى السلطة أو الحكم ، باعتبار ذلك سبيله إلى تحقيق ذاته الفردية ، وحلمه الجماعى لتغيير المجتمع ، من حق كل جيل جديد أن يتطلع إلى ذلك ، بل إن واجبه وانتماءه وطموحه يُملى عليه أن يتطلع إلى ذلك ، ويعمل على تحقيقه بكل وسيلة مشروعة ، فإذا بدا الطريق أطول مما يجب أو طال بطريقة مفتعلة أو سُدَّ تماماً فلا أمل فى منفذ . أصبح اللجوء إلى العنف مما قد يرد على بعض الخواطر .

وقد عَاصَرْتُ الحياة قبل ثورة يوليو ، وأشهد أنه لو كان الدستور قد احترم وعَرَّفَ كُلَّ هيئة حدودها فربما كتب لتاريخنا أن يكون غير ما كان

. . كان من المحتوم أن تفقد الأحزاب القديمة شعبيتها ، وتحل محلها أحزاب شابة مبشرة بالتغيير الاجتماعى ، أو فى تقديرى أن أجيال الشباب يمينًا، ويسارًا كانت سترث الأغلبية فى انتخابات ١٩٥٠ ، وتمضى فى تطبيق ما طبقته ثورة يوليو فى جو من الحرية والديمقراطية ، كان خليقًا أنْ يجنبنا كثيرًا من الأخطاء القاتلة .

فلننظر إلى واقعنا على ضوء ماضينا من ناحية ، والتسليم بالحقائق البشرية من ناحية أخرى ، فنجعل لنا طريقًا ممهدًا للسلطة ، خاليًا من العقبات المفتعلة والرواسب الشمولية .

من أجل ذلك أقول : إن الحل الأمثل هو الديمقراطية ، واحترام حقوق الإنسان .

٦ / ٨ / ١٩٩٢

حــرية عادلــة

بالأمس القريب تضخمت الدولة حتى أصبحت كل شىء . هى الأمن ، والدفاع ، والتعليم ، والصحة ، والمواصلات ، والزراعة ، والصناعة ، والثقافة ، هى كل شىء ، ونتيجة لذلك تضاءل دور الشعب حتى صار لا شىء .

الجميع مُسْتَخْدَمُونَ فى جهاز الدولة ، اقتصر اهتمام كل فرد على شئونه الخاصة ، وقنع فيما عدا ذلك بالمشاهدة ، وربما صرفه الملل عن ذلك أيضًا .

اليوم تتغير الأمور ، تسرى فى المناخ نسمات من الديمقراطية ، وتنفخ فى الأرواح قطرات من النشاط الحر ، وهناك ما يبشر بالعودة إلى حمل المسئولية ، والخروج من السلبية والكسل .

إذن فقد عرفنا طريق النجاة ، وما بقى علينا فهو أن نطهر سطحه من العقبات ، وأن نمهده للسير ، بل للانطلاق ، ثمه عقبات تتحدى آمالنا بعناد ، مثل الإرهاب ، والمخدرات ، والتلوث ، والفساد . ويطالبنا الواجب بإجراء إصلاح سياسى جذرى ، والمزيد من الإنتاج ، وتقويم الجهاز الإدارى ، وبث الأمن والأمان والاستقرار . ويتساءل قوم : وهل نضحى بالعدالة الاجتماعية ؟ .

مازال دور الدولة كبيرًا ، لن يقتصر على الأمن والدفاع ، حتى فى أعرق البلاد ديمقراطية ، فإن دور الحكومة يتجاوز الأمن والدفاع ، وسوف تظل الدولة فى بلادنا مهيمنة على الصناعات الاستراتيجية ، ومسئولة عن التعليم والصحة ، ومواجهة للتربية والثقافة ، ومتصدية لسلبيات المجتمع والبيئة ، ويدخل فى نطاق ذلك محاربة البطالة والفقر.

أبدًا لن تكون الحرية واحترام حقوق الإنسان ضربات موجهة للعدالة، ولكننا لن نصادر الحرية والكرامة باسم العدالة ، وباللجوء للقهر والاستبداد والإرهاب الرسمى .

١٣ / ٨ / ١٩٩٢

المزاج والعنف

لمناسبة حوادث « أبو حماد » المؤسفة قال المحافظ المسئول : العنف مزاج عام ، وعلينا كأجهزة مسئولة أن نبحث له عن علاج .

لكن ما الذى جعل العنف مزاجًا عامًّا لشعب عُرِفَ على مدى التاريخ بالوداعة والصبر ؟ .

الحق أن الأسباب كثيرة ، ولا تغيب عن ذاكرة أحد . فقد حفل تاريخه المعاصر بالاستبداد ، والإرهاب ، والفساد ، والهزائم ، والغلاء ، والبطالة ، وانسداد الطرق أمام الشباب ، والظلم ، والمحسوبية ، وسوء الخدمات ، واضطراب الإدارة ، وعدم احترام حقوق الإنسان ، والتطرف والتهديد ، لا من المواطنين وحدهم ، وربما وجدت تفاصيل تزيد الصورة قبحًا وبشاعة .

وهناك سبب آخر ، وهو أن المصريين فى معاناتهم التاريخية التى تلقوها على أيدى حكام أجانب أو شبه أجانب لم يرجوا لديهم خيرًا ، ولاشك أنهم أَمَّلُوا ـ بعد أنْ آلَ الأَمْرُ إلى أبنائهم ـ أن تتغير المعاملة ، وأن يجد المصرى فى دواوين الحكومة ومستشفياتها ومدارسها وسجونها مالم يكن يحلم به من قبل .

هذه هى الأسباب التى أَفْقَدَتْنَا الصبر ودفعتنا إلى العنف . ولعل

السيد المحافظ قد أدرك الآن أن مهمة العلاج أخطر من أن يقوم بها سيادته أو أجهزته ، إنها تحتاج إلى علاج شامل وخطة متكاملة وتنمية جامعة مانعة ، وهذا ما تقوم به الدولة وتركز عليه فى عهدها الأخير خاصة ، ولكنه يحتاج إلى زمن ، وإلى صبر ، وإلى عمل ، وإلى جهد ، فلندع ما للدولة للدولة ، ولنفكر قليلا فيما ينشب بين الشرطة والجمهور، مما يوشك أن يصير ظاهرة لا حادثة عابرة .

والعلاج واضح ، وهو « أنْ تُعامِلَ الناسَ بما تُحِب أن يُعاملوك به »، ولكنه يحتاج إلى مجاهدة للنفس ، وإخلاص للمجتمع ، ووطنية صادقة . يجب أن تقوم العلاقة بين الشرطة والجمهور على الثقة والاحترام فى ظل احترام حقوق الإنسان . يجب أن تذكر الشرطة أَنَّ واجبها الأول هو أن تكون فى خدمة الشعب حقًّا وصدقًا . إننا نعرف تمامًا ما الشرطة، وما واجباتها ، وما تضحياتها ، وما خطورتها فى حماية المجتمع وتكريس القيم والمبادىء .

لذلك لا نريد أن نسمع عن فرد تُسَاء معاملته فى قسم شرطة ، فضلا عن أن يُقتل فيه ، لا نريد أن يصدق الناس شائعة كاذبة عن حادث وقع فى قسم. ، إنَّ خدماتكم تملأ السجلات فلا تفسدوها بغضبة عارضة، أو كبرياء فى غير موضعها .

١٥ / ١٠ / ١٩٩٢

السياحة بين الدين والسياسة

يمكن تفسير ضرب السياحة بدافعين قد يصلان معًا متعاونين ، وقد يعمل أحدهما دون الآخر . أول الدافِعَيْنِ : تصور دينى متطرف . وثانى الدافِعَيْن : رغبة سياسية جامحة تستهدف إخراج الحكومة ، ولو خرب فى سبيل ذلك الاقتصاد القومى . ونناقش الدافع الدينى فنقول : إنَّ مُفكِّرَيْنِ إسلامِيَّيْنِ كبيرين ، هما المفتى والأستاذ الغزالى ، قد أغنيانا عن ذلك ، وخير الكلام ما صدر عن أهل الاختصاص فيه ، فمن موقعيهما المميزين قَرَّرَا أنَّ السياحة حلال ، وأن حياة السائح وماله فى ذمة المسلم .

ولا بأس من أن أضيف إلى ذلك الرأى الشرعى الحاسم تصورى للموضوع من الناحية الإنسانية العامة ، فأقول : إن السياح قوم يزورون بلادنا باختيارهم ، وبرغبة صادقة ، فزيارتهم دليل على حُبهم لبلادنا يستحقون عليه الشكر ، وأنهم ينفقون فى بلادنا أموالاً طائلة ننتفع بها فى دعم نهوضنا وتقدمنا ، مما يستحقون الشكر عليه أيضًا .

قد يعترض البعض على تقاليد السائحين مما لا يتفق مع تقاليدنا أو يتنافر مع أذواقنا ، ولكن هل نخلو نحن من مثل تلك السلبيات ؟ إن بلادنا حتى قبل أن تصبح سياحية لم تَخْلُ من الخمر والسكارى

والمقامرين والمستهترين والداعرين ، وهيهات أن يخلو مجتمع من بعض الانحرافات التى تقل أو تكثر تبعًا للأحوال والظروف .

بل أقول أكثر من ذلك : إنَّ لدينا من السلبيات مالم يسمع السياح عن مثله ، أو ما يندر وجوده فى بلادهم . فكثير من بلادهم لا تعرف الرشوة أو لا تكاد تعرفها ، ولا تعرف الإهمال والتسيب ، ولا تعرف الغش فى البناء الذى يعرض مئات الأرواح للهلاك فى أوقات الزلازل وفى غيرها . فمفتى السياح ـ لو كان لديهم مفتى ـ هو الذى كان يجب عليه أن يحذرهم من سلبياتنا ، ويحثهم على الوقاية منها .

الحق أنه لا توجد حجة لدى المتربصين بالسياح ، لا من الناحية الدينية ولا من ناحية الأخلاق والتقاليد . لم يبق لتبرير الجريمة إلا الرغبة السياسية فى إحراج الحكومة للتخلص منها والاستيلاء على السلطة .

وقد تكون السلطة غاية مشروعة للمواطنين جميعًا على اختلاف مشاربهم ، ولكن لا يجوز المساس بحُرمة المصالح القومية العامة من أجل الوصول إلى تلك الغاية . يجب أن نكون فى صراعنا السياسى ديمقراطيين لا إرهابيين .

١٠ / ١٢ / ١٩٩٢

كيف نتصدى للإرهاب ؟

الإرهاب مشكلة تتفاقم يومًا بعد يوم ، وتمتد عواقبه إلى مجالات كثيرة، فأصبح يهدد الأمن والاقتصاد والوحدة الوطنية . طبيعى أن ينشغل كل مواطن بعلاجه والتخلص منه ، فلا يمكن أن نتجاهله ، إذ لا استقرار نفسيًا مع تجاهله .

هو فى أصله فكر متطرف ، وجد فى التاريخ الإسلامى منذ نشأته . والفكر المتطرف فى ذاته ليس مشكلة ، فما من رأى أو مذهب إلا وفيه الاعتدال والتطرف ، وأذكر أنه على طول حياتى لم يخلُ المجتمع من آراء متطرفة ذات اليمين وذات اليسار .

ولكن التطرف قد ينحرف إلى العنف فيصير إرهابًا . كيف ومتى ينحرف التطرف إلى الإرهاب ؟ أرجو ـ بادىء ذى بدء ـ ألاَّ يتجه تفكيرك إلى دولة خارجية أو أكثر ، فالإرهاب كظاهرة لا تستطيع أى دولة خارجية أن تخلقه ، وغاية ما تستطيعه الدولة الخارجية هو أن تستغل وجوده فتمده بما يحتاج إليه من مال أو سلاح خدمةً لأغراضها . وإذن فعلينا أن نبحث عن أسباب الإرهاب فى الداخل قبل كل شىء . فكيف ومتى ينحرف التطرف إلى الإرهاب ؟

هناك أسباب كثيرة قد يتعاون بعضها على خلقه ، ويكون أثرها أشد

إذا اجتمعت معًا . منها الأزمة الاقتصادية وما تحدثه من إحباط وبطالة ويأس ، ومنها الفساد وما يعقبه من استفزاز وغضب والقضاء على الثقة فى المسئولين والقانون ، ومنها استحالة التغيير بالطرق المشروعة وانسداد القنوات الشرعية إلى السلطة ، ومنها ما يتعلق بالمعركة بين المتطرفين ورجال الأمن ، وما تسفر عنه أحيانًا من عدم احترام لحقوق الإنسان ، الأمر الذى يدعو للحقد والثأر .

ومن عَرْضِ الأسباب تتضح لنا سُبل العلاج ، وهى إنِ اتُّبِعَتْ بأمانة قُضِىَ على الإرهاب وأصبح جريمة فردية بعد أن كان ظاهرة اجتماعية .

ولا ينكر منصف ما تبذله الحكومة فى الإصلاح الاقتصادى ، ولا فى الدفاع الأمنى وهى تقاوم الفساد ، ولكن جهدها فى ذلك دون المطلوب، كما أنها لم تُعْنَ كما ينبغى لها بالإصلاح السياسى الذى يغطى بقية الأسباب .

واعلموا يا سادة أن الإرهاب لا يصير ظاهرة إلا إذا أصبح المجتمع فى أشد حاجة إلى علاج ، وكان العلاج فى أشد حاجة إلى الشجاعة والتضحية .

١٧ / ١٢ / ١٩٩٢

عام جديد

سنة طيبة ، وكل عام وأنتم بخير . . بدء عام جديد من الحوادث التى تدعو إلى التفاؤل والثقة فى الخير ، برغم الزلزال والإرهاب والأخطاء الفادحة . . علينا أن نشحذ الحياة ونقوى دوافع الثبات والنصر لنستمد من تقلبات الحياة العبر ، ومن التاريخ الدروس والأمثال ، ولْنَقُلْ برغم الزلزال والإرهاب والأخطاء الفادحة : سنة طيبة ، وكل عام وأنتم بخير.

لِمَ لا ؟ حتى فى أيام العُسْر والظلمات سمعنا صوتًا يبشرنا بانخفاض التضخم ، ويبشرنا ـ لأول مرة ـ بزيادة معدل التنمية على معدل الزيادة السكانية . سمعناه أيضًا يطمئننا إلى أن نهضتنا تعتمد على السلام وحسُن العلاقات مع الدول جميعًا ، كما تعتمد على العلم والتكنولوجيا .

وفى العام الجديد تشرق علينا مع مطلعه آمال جديدة لا غنى عنها :

أمل فى أن يتحقق السلام الشامل العادل فى شرقنا العربى مما يتيح لنا القضاء على أسلحة الدمار الشامل والتفرغ للتنمية .

أمل فى أن يتجاوز العرب خلافاتهم المتبادلة ليعنوا بمصالحهم المشتركة .

أمل فى تحويل التعاون بين أمم العالم الثالث من عالم الأحلام إلى عالم الحقائق .

أمل فى أن نعالج الإرهاب كما ينبغى لنا ، وأن نزيل عن وجه حياتنا السياسية تجعُّداته المتوترة .

أمل فى أن يكون العام الجديد عامَ الديمقراطية وحقوق الإنسان .

لِمَ لا ؟ لقد بَلَوْنَا المر ، وذُقْنَا السم من الحروب والاستبداد والفقر والتعصب . . فليس من الغريب أن نتطلع إلى السلام والتنمية والديمقراطية وحقوق الإنسان .

١٩٩٣ / ١ / ٧

نريدها صحوة صافية

ثمة صحوة دينية ينبض بها قلب العالم الإسلامى . . العرب والعجم والهنود والإفريقيون يطرحون قضايا متشابهة ، ويتطلعون إلى أحلام متماثلة . وقلنا للصحوة : أهلاً ، ولم يساورنا منها خوف على تراثنا الحديث ، التراث الذى اكتسبناه من العصر ، مثل الديمقراطية ، وحرية الفكر ، والوحدة الوطنية ، واحترام الإنسان ، بل على العكس ، قلنا : إننا سنستمد من الدين قوة جديدة لا عتناق مبادىء العصر ، إنه دين بالإيمان والعقل ، يصلح لكل زمان ومكان ، حتى لو اختلفت الأسماء والأوصاف . لم نتصور أنه يمكن أن ينفى فضيلة حديثة أو يصادر قيمة سامية .

إنه الدين الذى ساوَى بين البشر ، والذى يحتكم إلى العقل ، وينادى بالعقل . دين من فرائضه التفكير والعمل والنظافة . دين مقياس فى القلب والمعاملة . تصورت أن ما يشغلنا فى الصحوة ، أجَلّ ما يهم البشر والبشرية . . أن تدور أفكارنا وتلهج ألسنتنا بما يقرب الإنسان من ربه ، وما يعمر دنياه ، ويؤاخى بينه وبين الناس ، ويوسع مداركه ويزيد معارفة ، وينور خواطره بالبحث والعلم ، ويمتع روحه بالفن الرفيع الجميل .

هذا ما كان يجب أن يكون ، فما الذى كان مما هو كائن ؟!

لقد صاحبت الصحوة أعراضًا لم تكن متوقعة ، مثل الاستبداد ، والفساد ، والهزائم ، والأزمة الاقتصادية ، والظلم ، والمحسوبية . حدث ذلك فكان رد الفعل أنْ شَابَ الصحوةَ فى بعض مواقعها الكثيرُ من التطرف ، وهكذا تغير الحوار وتبدل التفكير ، لم يعد لهمومنا الحقيقية ذكر فى أحاديثنا التلقائية ، انحصر الكلام أوكاد فى الجريمة والمطاردة والتعذيب والحجاب وشكليات لا حصر لها .

إنه إعصار يهب ، فيقتلع كل قائم ، ويُسكت تفكيرنا فيما ينفعنا ، فيما يعمر وطننا وينميه ويجمله ويجنى محاسنه .

لِنَدْعُ الله أن نتغلب على جميع الصعاب التى صاحبت الصحوة ليعود إلينا التوازن ونعود إليه ، ونواصل المسيرة فى رعاية رب العالمين .

٤ / ٣ / ١٩٩٣

عن دور المثقفين

يتساءلون عن دور المثقفين فى التحديات التى تواجهنا ، وفى مقدمتها الإرهاب ، وفى تصورى أنه لا توجد قاعدة تخص المثقفين وحدهم دون بقية الفئات ، بل توجد قاعدة عامة واحدة تنطبق على الجميع ، ويمكن تلخيص تلك القاعدة فى الكلمات الآتية : « إن كل مواطن مطالبٌ بأن يؤدى واجبه كاملا فى نطاق إمكانياته المتاحة » ، هذه القاعدة تصح مع الجميع من أُميين ، ومتعلمين بلا ثقافة ، ومتعلمين مثقفين ، ومتخصصين فى الثقافة والفكر ، فَكُلٌّ مُطالَب بأن يؤدى واجبه كاملا فى حدود إمكانياته . الأُمِىُّ بحسب تدريبه ، والمتعلم بحسب تعلمه ، والمتعلم المثقف بحسب علمه وثقافته ، والمثقف المتخصص بحسب ثقافته عمقًا وشمولا ، وكل ما تضيفه الثقافة إلى التدريب والعلم أنها تهيىء فرصًا لخَلْق وَعْىٍ بأبعاد الواجب الاجتماعية والإنسانية .

بعد ذلك التمهيد « الذى لابد منه » نرجع إلى السؤال الأصلى عن دور المثقفين . والحق أن دور المثقفين حيال التحديات ـ وفى مقدمتها اليوم الإرهاب ـ هو حلقة فى سلسلة متكاملة من الأداء الوطنى ، يبدأ أول ما يبدأ بالدفاع الأمنى ، لأنه إذا كان ثمة جريمة فلا تردد ولا تأجيل فى التصدى لها حماية للأرواح والاستقرار والحياة الآمنة .

ثم يجيء دور الدولة فى علاج الأسباب العميقة للظاهرة ، وذلك من خلال خططها الإصلاحية الهادفة للتنمية الشاملة . ونركز هنا بصفة خاصة على مكافحة البطالة ، ومحاربة الفساد ، ومقاومة الغلاء، والإصلاح السياسى . وأخيرًا وليس آخراً يجيء دور الثقافة لمناقشة التطرف وتحليل فكره ، والتصدى لآرائه وأساليبه ، وتشخيصه من النواحى الاجتماعية والنفسية ، والاجتهاد فى وصف العلاج المناسب ، وكلما توافرت للثقافة وسائل التعبير ـ من صحافة وإذاعة وتليفزيون ومؤتمرات ـ كانت أقدر على إبلاغ رسالتها وتحقيق أهدافها . وربما تجاوز دور المثقف ذلك على حسب استعداده الشخصى ، فيشارك فى الحياة العملية السياسية أو الاجتماعية . ولا يجوز أن ننتظر رأيًا واحدًا عند المثقفين ، فهم يمثلون جميع الأحزاب والتيارات السياسية والاجتماعية والفلسفية والفنية ، وستتحدد آراؤهم ومواقفهم تبعًا لذلك .

١٩٩٣ / ٤ / ٨

اقتراح بانتماء جديد

لَعَلِّى لا أبالغ إذا قلت : إننا أُمة متعددة الانتماءات ، وإن ذلك ينذر حينًا بنوع من الفوضى ، وحينًا آخر باللامبالاة .

مصر ١٩١٩ آمنت بمصريتها أولاً وأخيرًا . قامت نهضتها على أساس من الوحدة الوطنية ، وتغنت بالشعار المعروف : « الدين لله والوطن للجميع » . وكان الانتماء قويًّا فَسَانَدَ بكل ثقة ثورتنا الشعبية الكبرى ، ولم يعد ذلك على الدين بأى أثر سيىء ، فظلت مصر مرجع الإسلام والتراث الإسلامى . أما القومية العربية فلم يكن لها من القوة ما كان لها فى بلاد عربية أخرى ، واقتصر انعكاسها على أنشطة بعينها ، مثل الأدب وذكريات التاريخ ،كان الأساس المصرى قويًّا ، فطوى بين جناحيه الدين والعروبة بدون أن تؤثر فى وضوحه وقوته .

أما مصر ١٩٥٢ فقد أدركها تغير ملموس ، جعلت من القومية العربية هدفها الخارجى الأول ، وتجسد ذلك فى الوحدة مع سوريا ، وحملة اليمن ، وكرست أجهزة الإعلام دعائيتها لذلك ، وتبعتها أو سبقتها كتب التربية فى مدارسنا . ونشأ فى الوطن فريقان : جيل ١٩١٩ الذى لم يفرط فى مصريته ، حتى فى حال تعاطفه مع القومية الجديدة ، وجيل ثورة يوليو الذى انتمى إلى العربية قلبًا وقالبًا . وقد تلقى ذلك التيار ضربة قاضية بعد ٥ يونية ١٩٦٧ .

عند ذاك ـ وربما كرد فعل له ـ ظهر انتماء جديد وكأنه المأوى والعزاء ، وهو الإسلام السياسى ، فكانت الدعوة إلى أن يعود الدين للهيمنة على الحياة كلها « الخاصة والعامة » الداخلية والخارجية ، ومن هنا جاء مطلبه بإقامة نظام حكم إسلامى ، واصطدم بالنظام القائم فى صراع مازال جاريًا محتدمًا .

ويعاصر هذا الصراع ثلاثة انتماءات قد أشرنا إلى كيفية ظهورها ، وهى المصرى الوطنى ، والوطنى العربى ، والإسلامى . . ولعل مهمتنا الحقيقية هى أن نخلق من تلك الانتماءات الثلاثة انتماءً أكبر ، يحافظ على مكوناتها الأصلية ، ويربطها برابطة تكاملية تزيدها قوة وصلابة بدلا من أن تهدر قواها فى صراعات عمياء .

إنها مهمة الجميع بدءًا من رجال التربية ، وانتهاء برجال السياسة .

٢٢ / ٤ / ١٩٩٣

رؤية جديدة

مواجهة الإرهاب تقوم اليوم على دعامتين :

١ ـ استراتيجية جديدة .

٢ ـ المشاركة الشعبية .

وعن الاستراتيجية الجديدة فقد أوضح وزير الداخلية موقفه الحاسم من الخروج على الشرعية ، وفى الوقت نفسه قدم رؤية جديدة للنضال تلتزم باحترام حقوق الإنسان فى أقسام الشرطة والسجون ، ورفض التعرض للأبرياء ، ومحاربة الفساد ، والبطالة . . إنه أسلوب جديد يتصدى للإرهاب باعتباره ظاهرة أمنية اجتماعية سياسية ، تُعالج بالحزم والإصلاح ، ومراعاة المبادىء الإنسانية ، وإلا كانت معركة بين إرهابيين، ونحن ندعو الله أن تصدق الوعود ، وأن يتحقق للوطن الأمن والأمان والاستقرار ، وحقن الدماء .

ومن ذلك المنطلق تصبح دعوة الشعب للمشاركة ذات معنى ، والحق أن المشاركة تطالب الناس بالشجاعة ، والتضحية إذا لزم الأمر ، وشعبنا لا تنقصه الشجاعة ، ولا يضن بالتضحية ، وبخاصة إذا اقتنع بأنه يدافع عن مصالحه ، وكرامته وقيمه ، ولعله يأمل بعد ذلك أن تكون

مشاركته فى التصدى هى الخطوة الأولى فى مشاركه أكبر وأشمل ، وهى المشاركة فى ممارسة حقوقه السياسية ، والاجتماعية الكاملة .

وما نطلب بعد ذلك إلا أن يجىء الفعل مصدقًا للقول ، وأن تكون الاستراتيجية مرنة تتابع الواقع وتغيراته ، وأن تتحلى بالحكمة كما تتحلى بالحزم ، وأنْ نتذكر أن هدفها القومى الحقيقى هو تحقيق الأمن والأمان ، والاستقرار ، وحقن دماء المصريين .

٦ / ٥ / ١٩٩٣

المتفرجون والمسرحية

المسرح هو المسرح ، والرواية هى الرواية ، والممثلون هم الممثلون ، والمتفرجون هم المتفرجون . الجوهر ثابت والتغيُّرات هامشية ، أما المنظر فى جملته فواحدٌ لا يطرأ عليه تغيير يُذكر . إنهم يتابعون ما يجرى فوق الخشبة بعين نعسانة ثقيلة ، أو يتابعونه على الإطلاق ، وربما عَلَّقُوا ببضع كلمات أحيانًا ، ولكنهم يلوذون بالصمت فى أغلب الأحيان ، وقد يصحون مرة أو أكثر على حادثة تقع مثيرة للأشجان ، أو معركة دامية تندلع ، أو كارثة طبيعية تعن ، عند ذلك يتوثبون لصحوة أشد ، ويتوقعون ردود أفعال تناسب الحدث أو المعركة ، وإذا مضَى توقعهم بلا ثمرة يرجعون إلى الهمس والصمت والنعاس .

لكن ما أصل الحكاية التى تجرى أحداثها فوق الخشبة ؟

فى الوسط سُلطة ونظام ، وعن يمينه جماعات ، وعن يساره جماعات .

بعض الجماعات شبعت نقدًا ومطالبة بالتغيير بدون نتيجة حتى مَلَّت الكلام ، وغلب عليها الشعور بالضياع ، ولم تعد تختلف فى شىء كثير عن المتفرجين ، فكأنهم جماعة من المتفرجين اتخذت مجالسها فوق المسرح لا فى صالة العرض .

وفى الناحية الأخرى جماعات نشيطة تنطق عن تطرف شديد ، وتؤيده بين الحين والحين بالعنف ، وقد نجحت لدرجة ما فى جذب الانتباه وإيقاظ الصامتين ، ولكن مضى صراعها على نمطٍ واحد ، ودخل الحوار المتبادل بينها وبين النظام فى دائرة الروتين ، فرجع المتفرجون إلى الصمت والنعاس وترديد كلمات الضيق والملل .

وفى وسط المسرح النظام الذى يقوم بالتنمية إنتاجًا وخدمات ، ويشارك فى معركة مستمرة دفاعًا عن الاستقرار ، وهو يعمل بغير شك ويحارب فى أكثر من ميدان وكأنه ضحية لدرجة كبيرة لبيروقراطية طاغية، وانحراف منتشر ، وخوف شديد من استكمال الديمقراطية ، واستدعاء الشعب لتقرير مصيره .

وحتى متى يمضى الحال على ما هو عليه ؟

لعله صوت الحكمة الذى يتردد من حين لآخر مطالبًا بالتغيير ، تغيير الرواية ، أو تغيير الإخراج على الأقل .

١٩٩٣ / ٥ / ٢٧

الجريمة فى زمن البراءة

للجريمة أسباب كثيرة ومتنوعة ، منها على سبيل المثال الأمراض النفسية ، ومنها الأمراض الاجتماعية ، كالفقر والحرمان ، والثأر والشرف، والحب والغيرة . وأكثر تلك الجرائم قد يرتكبها متعلمون ، كما قد يرتكبها جهلة من عامة الشعب . غير أن جرائم السرقة أو القتل من أجل السرقة الغالب فيها أن تنتشر فى بيئة الفقر والجهل ، هذا ما جرت عليه العادة قديماً ، أما اليوم فثمة نوع من المجرمين يطالعوننا ، مجرمين من المتعلمين ، بل ومن أوساط الطلبة ، حيث يفترض أن تُوجد البراءة والمثالية والتأسى بالقدوات الصالحة .

ولنقف مليًّا عند الطلبة ، رموز البراءة والمثالية ،كيف انقلب عدد منهم إلى رؤساء عصابات ، وسفاحين ومغتصبين ؟ . . بل كيف تمادى الأمْرُ ببعضهم ليقتل أخاه أو أمه وأباه ؟ كيف يحدث هذا ؟ طبعًا لا أقول إنهم أصبحوا ظاهرة يومية ، ولكنهم لم يعودوا استثناءً نادرًا . وطبيعى أن نشير إلى الفقر أو الحاجة إلى النقود بسبب أو آخر كعاملَيْن يتركز فيهما الاتهام ، ولكن علينا أن نتذكر أن مجتمعنا لم يخل قط من الفقر أوالحاجة إلى نقود ، إذن فلابد من البحث عن أسباب أخرى لفهم الفساد الذى دب فى حياة البراءة ، وسأحاول تلخيصها فيما يأتى :

١ ـ ضعف التربية الدينية والأخلاقية والنفسية .

٢ ـ خلو الحياة من القدوة الصالحة .

٣ ـ الطريق المسدود أمام طموحات الشباب .

٤ ـ مظاهر الاستفزاز المتمثلة فى الثراء الفاحش والفساد وما يذاع عنه .

٥ ـ الإرهاب وإيحاءاته الوحشية .

وليس لهذه الجريمة علاج خاص بها ، ولكن علاجها تتضمنه الوصفة العلاجية العامة الشاملة التى نسميها بالتنمية الشاملة .

٢٩ / ٦ / ١٩٩٣

متى نقضى حقاً على الإرهاب ؟

شغلنا الإرهاب حتى كاد يغطى على جميع مشاكلنا . . آراؤه آية فى الغرابة ، وسلوكه لا مثيل له فى الوحشية ، والخسائر التى أنزلها باقتصادنا ثقيلة فادحة لا تُعوض فى الزمن القصير ، وبرغم ذلك كله فهو ليس مشكلة بلا حل ، فد استطاع إبراهيم عبد الهادى أن يقضى عليه ، كما استطاع جمال عبد الناصر أن يقضى عليه ، ويبدو أنه يسلم اليوم قلاعه الأخيرة ، ولا أستبعد أن يلحق بسابقيه قريبًا ، وأن يستقر الأمن والأمان .

ولكنى أرجو ألاَّ نعتبر المسألة منتهية بانتهاء الإرهاب . . وعلينا أن نسأل أنفسنا : لِمَ تكرر رجوعه ؟ . . لِمَ رجع بعد اختفاء ليمارس العنف ويسفك الدماء ؟

الواقع أنه يوجد فكر إسلامى ذو طبيعة خاصة ، وأهداف معروفة على نحو ما ، ولهذا الفكر قاعدة فى الشعب لا يمكن تجاهلها ، وله ممثلوه ، ولكنهم لا ينالون حقهم من الاعتراف ، سواء كهيئة أو كحزب ، ولذلك فهم محرومون من الممارسة المشروعة ، وينعكس ذلك وما يتبعه من ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية فى صورة آراء متطرفة عند بعض شبابه ، وسرعان ما يندفعون نحو العنف من جديد . . ونعود إلى

التعامل مع العنف بما يستحقه متناسين ملابساته كلها ، ونعتبره مشكلة مفتعلة أو مستوردة ، ونحمل عليها بكل قوة حتى نسكت صوتها وفعلها ، ولكن إلى حين وليس إلى الأبد ، طالما أن المسألة الأصلية باقية بدون حل .

ولا حل لتلك العقدة إلا فى الديمقراطية ، فى أن يتمتع كل تيار بحقوقه المشروعة . . وأن يسمع صوته للشعب بكل تفاصيله . . فى أن يدخل فى حوار مثمر مع مخالفيه لينتهى الحوار إلى رأى واحد أو أكثر . . ثم يكون الحكم للشعب .

١٩٩٣ / ٩ / ٢

خريطة المجاهدين

فى مجتمعنا أحزاب كثيرة ومشكلات أكثر . ومن الطبيعى والمتوقع أن تقوم خلافات وتتضارب آراء حول المشكلات من نواحى التشخيص والعلاج والحلول المقترحة ، فَحَوْلَ الخصخصة جدل ، وفى البطالة خلافات ، وعن الفساد تتعدد الآراء ، ولكن كل أولئك يجرى فى جو من المعقولية والموضوعية ، ونادرًا ما يمس الإثارة ، وهو أبعد ما يكون عن العنف ، إلا مسألة نظام الحكم ، وهل يكون مدنيًّا أو إسلاميًّا ، فهذه يحتد حولها الخلاف ويشتد ، وتجنح فى أحوالٍ إلى العنف وسفك الدماء ، فلا نبالغ إذا قلنا : إنها المسألة الأولى فى جدول حياتنا السياسية .

ولعله من المفيد أن نلقى نظرة سريعة على موقف القوم من هذه المسألة الخطيرة .

فأما المدنيون فيتمسكون بالحكومة المدنية ، وتفضل أغلبيتهم الإطار الديمقراطى ، مع إيمان بأن الدين لله والوطن للجميع ، وأكثريتهم مؤمنة ، وفيهم متدينون صادقون ، ولذلك فلا يجدون بأسًا فى الاعتراف بأن مصر دولة إسلامية ، وأن الشريعة هى المصدر الأساسى للتشريع ، وكثيرًا ما يرددون بأن أكثر من ٩٠٪ من القوانين متوافق مع الشريعة الإسلامية .

وأما الإسلاميون فمنهم المتطرفون ، وفيهم يتوالد الإرهابيون ، ونظراتهم للدين تقوم على التشدد والمغالاة ، حتى لَيُكَفِّرُوا المجتمع حكامًا ومحكومين .

ومنهم محافظون معتدلون يمكن أن نطلق عليهم بحق « السلفيين » .

ومنهم المستنيرون ، ولعلهم أقرب إلى حقيقة الإسلام ، يحترمون الفكر والديمقراطية والوحدة الوطنية ، ولديهم من المرونة والاستنارة ما يستطيعون أن يواجهوا به العصر .

ولعله من الخير للوطن ومستقبله ألاَّ ينقطع الحوارُ بين هؤلاء المستنيرين والديمقراطيين ، ولعله ينكشف عن قاعدة واحدة وهدف مشترك .

١٩٩٣ / ٩ / ٣٠

الاحتــرام

يتحدثون كثيرًا عن نظرة الغرب للإسلام والمسلمين ، ورأيه فيه وفيهم ، ثم ينتهون من ذلك إلى الرأى الذى يتردد أحيانًا ، وهو أن الإسلام هو العدو المقترح والتحدى القادم للحضارة الغربية .

ولماذا يكون ذلك كذلك ؟

للرواسب التاريخية نصيب كبير ، وهناك من يعتقد أن الحرب الصليبية لا تريد أن تنتهى أبدًا .

وأخيرا وليس آخرًا فللتأخر الحضارى شأنه الكبير .

فما الرأى فى تلك الأسباب ؟

أما الرواسب التاريخية فلا أظن أنها تبقى فى ذاكرة الزمن أكثر مما ينبغى ، والتاريخ يشهد ذوبان عداوات قديمة فرقت بين أمم وشعوب ، ثم توارت أمام المصالح الجديدة ونداء الحياة المتجدد .

وأما الإرهاب فما أكثر الدول التى تعانى منه ، وهو يُمارَس فيها على نحو أشد وأفظع مما يُمارَس فى الدول الإسلامية ، ومع ذلك فلا يؤثر ذلك فى سُمعتها ولا منزلتها .

أما التأخر الحضارى فقد نجد هنا العذر للغرب إذا هو خصنا بنظرة

خاصة غير مريحة . إن بعض الشعوب الإسلامية تحكم بطريقة بعيدة عن روح العصر ، وحقوق الإنسان بها تتعرض للاستهانة والعدوان ، والإدارة فيها تتسم بالعجز والفساد ، بالإضافة إلى تأخرها فى مجالات العلم والثقافة .

وتلك حال يُسأل عنها المسلمون لا الإسلام ، فهو دين شورى ويحترم الإنسان ، ويقدس الحرية والعدل والعلم والعمل .

وأفضل من التذمر والاحتجاج على الغرب ، أفضل من ذلك أن ننقد أنفسنا ونصلحها ، ونصلح دنيانا ، فيقبل علينا الاحترام بدون شكوى أو دعاية .

٢٥ / ١١ / ١٩٩٣

العـدو الأول

حَسَن جدًّا أن نفكر فى حاضرنا ومستقبلنا . وحسن جدًّا أن ندعو الجميع إلى ذلك ، وإنْ وجَبَ ذلك على كل مواطن بغير دعوة ، ولا يصح أن نفهم الدعوة على أنها تجيز تأجيل الاهتمام بمشكلة ، فالمشاكل مترابطة ، والتنمية يجب أن تكون شاملة ، وكما أن تجديد التعليم ضرورى ضرورة الحياة نفسها ، فقضية التلوث ذات خطورة لا يمكن التهاون فيها كذلك ، فإن تأسيس أى نهضة على أساس ديمقراطى متين مَطْلَب غاية فى الأهمية ، ونحن نؤمن به إيمانًا كاملا .

وإذن فلتكن الدعوة بهدف إبراز أهمية هذا الموضوع وتسليط الأضواء عليه . وإنه لَموضوع هامٌّ حقًّا ، ويتداخل فى أكثر من مشكلة ، وذو أثَرٍ فى حاضرنا ومستقبلنا أقوى من أى شك أو خلاف ، وأعنى به الإحباط ، أو إذا شئت اليأس ، المرض القاتل لكل نفس ، والدافع الأعمى وراء شرور لا حصر لها ، وجرائم لا تحصى ، وهو كارثة إذا أصاب أى شخص ، ولكنه كارثة مضاعفة إذا تسرب إلى نفس الشاب . . فهو يعيش وينشر الظلام والعبث والجريمة والحقد والخلل العقلى ، فعلينا أن نحارب اليأس بكل الوسائل ، ومهما كلفنا ذلك من تضحيات .

وقد تكون البطالةُ وَكْرَهُ الأول ، ولكنه ليس الوكر الوحيد . . قد يُولد

فى المدرسة الكئيبة الناقصة ، وفى الهيئة العشوائية ، وفى المرتب الذى لا يحقق غاية ، وفى الشعور الأليم بعدم تكافؤ الفرص والتحيز ، وفى العبث بسيادة القانون فى عدم احترام حقوق الإنسان .

حاربوا اليأس فى أوكاره ومظانه . . إننا نحن الذين نغرسه ، ونحن الذين نحصده .

٢ / ١٢ / ١٩٩٣

حوار مع العنف

لماذا يعمد البعض إلى استعمال العنف فى التعامل مع الآخرين أو مع المجتمع .

يرد أول ما يرد على الخاطر الأسباب المرضية ، عقلية كانت أو نفسية ، وما يكمن وراءها من دوافع وراثية ، أو ظروف اجتماعية .

وثمه عنف تسوق إليه القوة ، يلجأ إليه الصبى القوى أو الشاب القوى اعتزازًا بقوته العضلية فى مواجهة الآخرين ، وقد ترتكبه السلطة فى البلاد التى يُستهان فيها بحقوق المواطنين .

ويوجد عنف ربما فُرِض بدون قصد ، يتورط فيه اللصوص إذا وقعوا فى المصيدة وسدت فى وجوههم سُبل الفرار .

وطبعًا لا ننسى العنف المستلهم من التقاليد ، مثل الثأر ، والغضب للعرض . ولا ننسى أيضًا عنف مجرمى الحروب الذى يحصد ضحاياه بالملايين . وهناك العنف السياسى ، وينشأ عادة عند اليأس من بلوغ الهدف بالسبل المشروعة . وهذا الشعور يتكون عند الطرق المسدودة ، أو حول الأهداف التى تبدو بعيدة المنال جدًّا ، أو فى التصرف مع عدو يتفوق فى قوته لدرجه تخل بأى توازن .

وهناك ظروف ، وإنْ لم تؤدِّ إلى العنف بصفة مباشرة وحتمية ، فهى

تخلق المناخ الذى يغرى به أو يدفع إليه ، ويخلق حالة نفسية للتعاطف معه ، مثل البطالة ، وعجز الشاب عن تحقيق مطالبه المشروعة ، وانتشار الوساطة ، وانعدام تكافؤ الفرص ، وتفشى الفساد ، والاستهتار بحقوق الإنسان .

وعلى أى حال فكلما اقترب مجتمع من الصلاح ابتعد عن العنف بجميع أشكاله وصوره .

١٩٩٤ / ٣ / ١٧

حوار مع الفساد

لا يخلو مجتمع من فساد ، فمن الغرائز البشرية ما يدفع للعدوان والقتل والنهب ، وكافة أنواع الإيذاء ، أمَّا عندما ينتقل الإنسان إلى الحياة فى مجتمع فإنه يُتاح له التفرقة بين المستقيم والفاسد ، وبين الخير والشر ، ويسن القوانين للثواب والعقاب . ومهما أوتى الإنسان من أسباب التربية والتهذيب ، وحظى بالقدوة الصالحة والدين والقيم ، فستظل نسبة منه ضحية لأهوائها الجامحة ، وغرائزها الكامنة .

من أجل ذلك نجد الفساد فى جميع الدول ، متخلفة ومتقدمة ، دكتاتورية وديمقراطية ، غير أن الأمر يختلف بين دولة وأخرى فى درجة مقاومتها للفساد . . فالدولة المتقدمة تمتاز بنظام تربوى راقٍ ، وقدوات صالحات فى كل مجال ، ومستوى معيشة حسن ، ومناخ نفسى أقرب للصحة والسلامة ، ومن شأن ذلك كله أن يقوى الصلاح ويقاوم الشر والفساد .

كذلك الدولة الديمقراطية ، تتوافر فيها الحريات والمراقبة ، والمتابعة والمعارضة ، واحترام حقوق الإنسان ، وتقديس القانون وهيمنته على الجميع ، وتكافؤ الفرص ، وغير ذلك مما يقوى الاستقامة ويحاصر الفساد ويطارد المفسدين .

ونقيض ذلك تمامًا ما يحدث فى المجتمع الاستبدادى ، حيث يرفع الحكام أنفسهم فوق القانون ، وحيث تجد الغرائز جوًّا متحررًا من الخوف والمسئوليه والرقابة ، فترتكب أشنع المنكرات فى أمانٍ وطمأنينة ، وتمتد امتيازات الحكام إلى الأتْباع والأقارب والأصدقاء والخدم ، وتختفى القيم والمبادىء ، وتنطفىء الآمال .

ومن حُسن الحظ أننا بتنا نعرف الخير وطريقه ، كما عرفنا قيمة الصدق فى العمل .

١٩٩٤ / ٣ / ٢٤

صوت التقدم

الفكر المتطرف فى بلادنا قديم ، وهو يرفض كل جديد مما بشرت به الحضارة الغربية ، كذلك فإن الفكر الحديث تاريخ لا يُستهان به ، وهو يعمل على بناء دولة عصرية ، متخذًا من الحضارة الغربية قدوة يسترشد بها . وكما أن الفكر المتطرف يدَّعِى أنه الممثل الحقيقى للدين ، والفكر الحديث يؤكد أنه هو الممثل الحقيقى للدين الحق .

ويشهد التاريخ بأن العلاقة بين الفكرين علاقة عكسية ، فكلما قوى أحدهما ارتفع صوته وانتشر أثره ، والعكس صحيح .

وكان ـ ومازال ـ الحكم بين الفكر الحديث على تَفَاوُتٍ فى درجات الحداثة بين فترة وفترة ، كذلك تفاوتت فترات حُكْمِه بين الصعود والهبوط ، فمن فترات صعوده إنجازات ثورة ١٩١٩ ، وإنجازات العهد الأول لحكم عبد الناصر ، ونصر أكتوبر وتحرير أرض الوطن ، ومن فترات تدهوره حريق القاهرة ، وما أعقبه من التخبط الملكى ، و ٥ يونية ، والانفتاح العشوائى ، والأزمة الاقتصادية ، والفساد .

وعند كل صعود يخفت صوت التطرف الدينى ، وعند كل هبوط يرتفع صوته ويتحول إلى العنف .

من أجل ذلك فالتصدى الناجح للعنف لا يتم إلا بالعمل الشامل .

أما المقاومة الأمنية والدعاية الفكرية فهما ضرورتان حقًّا ، ولكنها - وحدهما - لا يجديان ، ولابد من العمل الشامل بكل قوة واصرار . . العمل الذى يتضمن الإصلاح السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى معاً . إنه الحرية والعدل ، والبناء والتعمير ، والتطهير من الفساد والسلبية ، وإنه التطلع إلى المستقبل بعقل يضيئه العلم ، وقلب يعمره الإيمان

٢ /٤ /١٩٩٤

مؤامرة ضد الإسلام

إن الحديث عن المؤامرات التى تُدَبَّرُ بليلٍ ونهارٍ ضد الإسلام والمسلمين حديث مشهور ومُعاد ، يكاد يُحفظ عن ظهر قلب من كثرة تكراره ، ولست أنوى مناقشته ، ولكنى سأسلم به ولو احترامًا للأغلبية ، وللأغلبية حق فى الاحترام لا يصح تجاهله .

ولكنى أنبه - إضافة لما سبق - إلى مؤامرة لم تلق حظها من الضوء والعناية ، وهى المؤامرة التى يحيكها مسلمون ضد الإسلام والمسلمين ، ولعلها أكثر من مؤامرة واحدة ، هناك الإرهاب والإرهابيون ، وهم مسلمون متطرفون ، ولو قنعوا بالتطرف فى الرأى لحق لهم ذلك ، وحق لهم أيضًا أن ينشروه بكافة الوسائل المشروعة ، ولكنهم يتجاوزون التطرف إلى العنف والإرهاب ، ولا يخفون طبيعتهم ، فهم يباهون الخَلْقَ بأنهم إرهابيون ، وأنهم يكرسون حياتهم لإرهاب المجتمع الإسلامى الكافر فى نظرهم، ويقضون على رموزه ومؤسساته ، حتى انتهى بهم الغضب إلى قتل الأبرياء من النساء والرجال والأطفال ، فبقصد أو بغير قصدٍ هذه مؤامرة تُوهن من تماسُك الأمة وتقدمها ، وتثير فى جنسياتها البلبلة والإحباط .

هناك أيضًا أغنياء المسلمين ، وهم أثرياء لا يُستهان بثرواتهم فى

العالم . وكان يمكن أن يكونوا مرجع الأمة فى تقدمها المادى ، وتفوقها الاقتصادى والعلمى ، ولكنهم ينسون إخُوَّة الإسلام ، ويستثمرون فى السوق العالمية أموالهم ، ويضنون على أوطانهم الضعيفة إلاَّ بالفتات ، حتى ليقال إنهم ينفقون فى الخارج ٨٠ دولارًا مقابل كل دولار واحد فى الداخل . . فبقصد أو بغير قصد هذه مؤامرة أخرى .

وإذا كان هذا هو حالنا مع أنفسنا فما يحق لنا لَوْمُ الغرباء .

١١ / ٥ / ١٩٩٤

الأخــــلاق

كثيرًا ما نتبادل الشكوى لما حاق بأخلاقنا العامة والخاصة من تدهور . . وهو تدهور لا يستطيع أن يتجاهله أحد ، ولا أن يهون من خطورته ، وكثيرا ما نعلل ذلك بسبب محدد تبعًا لمناسبة الحديث أو على سبيل الاستسهال ، فالسبب هو الأزمة الاقتصادية ، أو البطالة ، أو حتى السينما أو التليفزيون ، ولكن ظاهرة السلوك البشرى أعظم تعقيدًا ، ومتداخلة فى ظاهرات اجتماعية كثيرة ، ولن أقف أمام الأسباب العقلية والنفسية ، فهى أحوال مرضية ، وعلاجها بيد الطب قبل كل شىء . . الذى يهمنى هنا أن أعد الأسباب الاجتماعية ، لأنها الغالبة من ناحية ، ولأن مجرد ذكرها يشير إلى كيفية الخلاص منها من ناحية أخرى .

إن أخلاقنا اليوم هى الثمرة المرة لعوامل عديدة ، أقدم لك منها :

١ ـ حكم استبدادى أرهبَ الناس بصرامته ، حتى عَشَّشَ الخوف فى القلوب ، والمهانة فى النفوس ، وجعل من النفاق والانتهازية دستورًا للحياة .

٢ ـ من توابع الاستبداد الاعتماد المطلق على أهل الثقة وتفضيلهم على أهل الخبرة ، مما يهدر قيمة العلم والعمل ، ويزكى الملَق والانحراف والعلاقات الخاصة والفهلوة والاستهتار .

٣ ـ الأزمة الاقتصادية وتوابعها من الغلاء والبطالة ، وفتكها بمحدودى الدخل ومن دونهم من الفقراء ، فكانت مدخل كثيرين إلى الانحراف بأنواعه ، والاستهانة بالروابط الحميمة التى كانت فيما مضى شبه مُقدسة ، كما كانت الدافع وراء العديد من جرائم السرقة والقتل والاغتصاب والمخدرات .

٤ ـ الاستهانة بقدسية القانون ومخالفته جهارًا والتراخى فى تطبيقه ، والإهمال فى تنفيذ أحكامه .

وقد يحتاج العلاج إلى وقت ، ولن يجدى فيه الكلام والمواعظ . . لابد من التنمية الشاملة التى تشمل فيما تشمل الإصلاح السياسى والاقتصادى والتربوى والثقافى .

١٩٩٤/٦/٢

أسـرة الإرهـاب

لعل أبسط تعريف للإرهاب هو استعمال القوة غير المشروعة فى سبيل الوصول إلى غاية ما ـ إنْ صح هذا التعريف ـ فليس الإرهاب المعروف هو الإرهاب الوحيد الذى يُمارَس فى المجتمع ، كل ما يتحقق بالقوة لا بالقانون أو الشرعية هو نوع من الإرهاب . والقوة لا تعنى الرصاص والقنابل فحسب ، فهناك أيضًا قوة النفوذ ، والقرابة ، والحزب ، والأسرة ، والطائفة ، والدين ، فيمكن القول بأن أية قوة تُستعمل لخرق الشرعية أو تخطى القانون هى إرهاب ، ويجب أن نعتبرها كذلك ، وأن نضعها فى كفة واحدة مع الإرهاب الذى نطارده صباح مساء .

فالوصول إلى السلطة قد يكون نتيجة جهاد مشروع ، أو ثمرة لعنف إرهابى . وشغل الوظائف العامة قد يكون بحسب المجموع أو من خلال امتحان نزيه ، وقد يعتمد على قوة النفوذ والواسطة ، أى على الإرهاب . والصفقات التجارية قد تعتمد على قوانين السوق ، وقد يتحكم فيها النفوذ والرشوة ، وغير ذلك من وسائل الإرهاب الاقتصادى . وعلى هذا النحو تجرى الخدمات ، فانظر إلى ما يقع فى الطريق والمستشفى والمواصلات والمصالح الحكومية ، هل تتم المعاملة وفقًا لنظام ثابت شامل لا يفرق بين شخص وآخر . أم أنه يفتح ذراعية بحرارة الترحاب لأُناسٍ ويصب على الآخرين عذاب المعاناة بغير حساب ؟

بعد هذا التمهيد فإننى أدعو كل قارىء لتأمل ما يحدث فى مجتمعنا ، وليحكم بنفسه أهو مجتمع قانونى شرعى أم مجتمع إرهابى ؟

وأظنك تتفق معى على أن أولى درجات الحضارة أن يتحول المجتمع من مجتمع يقوم على الغريزة والقوة إلى مجتمع يحيا فى ظل القانون والشرعية ليحقق الحرية والعدل .

١٤ / ٧ / ١٩٩٤

الدعـوة والدعـاة

فى مناسبات ماضية كتبت عن الدعوة والدعاة أشدتُ بالمهمة الكبرى التى يقومون بها فى حياة الأمة باعتبارهم مربى وجدانها الدينى ، والصوت المسموع فى مساجدها المنتشرة فى المدن والقرى . والحق أنهم بحكم طبيعة رسالتهم أقوى تأثيرًا فى النفوس ، وأسرعهم نفاذًا إلى القلوب ، وبوسعهم حقًّا أن يسهموا فى تشكيل الأجيال وبعثها من سباتها . من أجل ذلك دعوتُ إلى الارتقاء بإعدادهم إلى أعلى الدرجات العلمية والثقافية ، حتى يصبحوا أهلاً لحمل الأمانة فى هذا العصر بالغ التعقيد ، والذى يسمى فيما يُسَمَّى بعصر العلم والاتصال والمعلومات .

ويجب ألاَّ ننسى ماحل بنا من جراء انتشار الأفكار المتطرفة التى أساءت إلى الإسلام وأهله ، وألاَّ يدعو انتشارها حينا إلى وجوب إعادة النظر فيما يجب علينا نحو الدعوة والدعاة . ولا يجوز أن ينهزم الهدى أمام التطرف وهو يملك المساجد ، ووسائل الإعلام ، والحق والحقيقة .

فعلينا أنْ نعد الداعية الإسلامى ، وأن نهيىء له سُبل العمل الصالح . الداعية هو لسان التنوير الدينى ، ويجب أن يظل فى كل مكان وزمان .

نتوقع أن نعرف من الدعاة الإسلام فى مضمونه وفرائضه وأخلاقه ، وأن

تمتد دروسهم لتشمل مبدأ الشورى ، أو ديمقراطية الإسلام السياسى ، كما ينبغى أن يُفهم اليوم وغدًا .

وأن يحدثونا عن العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، وعن تقديس الإسلام للحرية والفكر والعمل والإنتاج .

وعن حقوق الإنسان التى قررها الإسلام ، وعَمَّا يمكن أن يقبله من الحقوق التى لم يقررها .

والحمد لله فلن تعوزهم المراجع قديمها وحديثها ، ولن تعوزهم الرغبة الصادقة فى النهوض بالأمة فى هذا العصر .

٤ / ٨ / ١٩٩٤

غداً يوم آخر

تلوح لنا حياتنا المعاصرة بعالمين جديدين ، هما عالم سوق الشرق الأوسط ، وعالم الجات .

وكالعادة قد قيل عن العالمين كل ما يمكن أن يُقال من خير وشر ، فهما عند قوم طريقا الخلاصِ ، وعند آخرين طريقا الهلاك . والذى يبدو أن الاتجاه نحو العالمين هو أمر حتمى لا مفر منه ، وأننا لذلك قد قررنا اختياره ، ولا أعتقد أننا اخترنا الانتحار .

إن عالم ما بعد الحرب الباردة عالم يقوم الصراع فيه على المنافسة الحرة ، ويعتمد فى جوهره على إرادة الحياة والعمل ، والعلم والخبرة ، والمناخ الصالح للحياة البشرية المنطلقة ، فى مثل ذلك العالم تتحدد منزلة كل أمة تبعًا لما تملك من إمكانيات ، وما تبذل من جهد .

ولا يصح أن تتلاشى ثقتنا بأنفسنا لدرجة التسليم بالانهزامية . نحن نملك موارد مادية وبشرية وقيماً روحية ، ولنا تعاملٌ قديم مع العلم والخبرة .

كل أولئك يؤهلنا لدور فى المنطقة ، ولدور بالتالى فى العالم .

ولكن يجب أن نعيد النظر إلى أنفسنا لننفخ فيها حياة جديدة تؤهل للنجاح الحقيقى فى ذلك الصراع العالمى . وأقول ـ ولا أَملُّ من القول مرة

ثانية وثالثة : إننا لا نستطيع أن نتفرغ للعمل ونحن مُنهمكون فى مصارعة الإرهاب ، ولا ونحن غارقون فى الفساد ، ولا ونحن قانعون من الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان بهامشٍ لا يُغنى ولا يُجدى ، ولا ونحن خانعون للبيروقراطية والقوانين الاستثنائية . يجب أن نتحرر من كل قيد كابوسى قبل أن نطرق أبواب الحياة الجديدة .

١٩٩٤ / ٩ / ٨

صباح الخير إلى العالم

دعنا نُلْقِ نظرة على صحيفة أو أكثر . لا يهم الاختيار كثيرًا إذا كان هناك أنْ تَعْلَم بالوقائع التى تصنع التاريخ فى الداخل والخارج . وبخاصة إذا ركزت على المشاكل الجوهرية .

أخبار الإنجازات تتصدر الصفحة الأولى ، الإصلاح يتدفق كالسيل العَرِم فى كافة وجوه الإنتاج والخدمات . أجل ، إن الصحف المعارضة تقدم صورة مناقضة راكدة ، خالية من الحياة ، تموج بالشر ، والتأخر ، وخيبة الأمل . على أى حال نحن نسجل ولا ندخل فى صميم الخلاف . فإذا انتقلنا إلى باب الأزمات فثمة أزمة اقتصادية وغلاء ، وما تلده من بطالة وفساد من كل شكل ولون ، والعالم أيضًا يعانى من أزمة اقتصادية وبطالة ، وفيه ما يكفيه وأكثر من حوادث الفساد .

أما عن الإرهاب فحدِّث عنه ولا حرج المحلى منه والعالمى ، الدينى والعنصرى والوطنى ، حتى ملوك المخدرات احترفوا إرهاب خصومهم .

وهناك المشكلات السياسية الدموية ، تجدها فى اليمن والسودان وأفغانستان ، وتبلغ ذروتها فى البوسنة والصومال ورواندا .

وأبناء الفقر المنفيون فى العالم الثالث ، كما فى العالم المتقدم حيث يعيش ملايين تحت مستوى الفقر .

ولا تُعرف له صفات خاصة بإحصائياته ومستقبله المخيف على الأرض .

إنه عالم يحفل بما يسىء ، ونادرًا ما تعثر فيه على ما يسرّ ، ولعل الأخبار السعيدة تكاد تكثر فى بيئة واحدة ، هى البيئة العلمية ، ففى تلك العتمة الشاملة تومض أضواء فى مراكز البحوث ، دائمًا بالمزيد من المعرفة والكشف عن حقائق جديدة ، والتصدى بقوة للأمراض والآفات .

افتح صحيفتك ولا تيأس من استقبال ما هو أفضل أو أجمل .

١٢ / ١٠ / ١٩٩٤

من التنوير إلى الإصلاح الشامل (*)

نبه الإرهابى التائب الرأى العام إلى أهمية الكتاب ، سواء فى تجنيد الشباب للتطرف أم فى إنقاذهم من الأفكار المتطرفة ، تبعًا لنوعية الكتاب ورؤيته . . وليس فى ذلك اكتشاف جديد ، فمنذ قديم ونحن نعلم بالكتب والأشرطة التى تدعو إلى التطرف . . كما نعلم بكتب التنوير ، المَدنى منها والدينى على السواء .

وكثيرًا ما ثار النقاش حول دور الأسرة والمدرسة وأجهزة الإعلام ، فالأمر الذى لا شك فيه أن الدور الفكرى غاية فى الأهمية عند التصدى للإرهاب ، وأنه يساوى فى أهميته التصدى الأمنى الذى تقوم به أجهزة الأمن بكل قوة وشجاعة وتضحية . . ولكن يجب ألاَّ يغيب عن البال دور الفقر والبطالة والفساد ، وكل ما يوقع الشباب فى مخالب اليأس والإحباط .

والإنسان لا يستجيب لكتب التطرف إلا إذا كان مُهَيَّأً لذلك نفسيًّا واجتماعيًّا ، والحائز للصحة النفسية والاجتماعية لا يميل إلى الآراء المتطرفة ، وحتى إذا اعتنقها كأفكار فى أحوال نادرة فإنه لا يتحول بها إلى العنف والإرهاب معرضًا حياته السليمة العافية إلى الهلاك . . ولكن

(*) كتب أديبنا الكبير « وجهة نظر » هذه قبل أيام من حادث الاعتداء الأثيم الذى تعرض له .

الآراء المتطرفة والدعوات الإرهابية قد تجد صدًى فى الأنفس التى أرهقها الفقر واليأس والشعور بالظلم . . لذلك وجد دعاة الإرهاب صيدهم سهلاً فى المناطق العشوائية ، وبين المحيطين المعدمين المحرومين .

الإرهاب مرض خطير ، علاجه يجب أن يكون شاملا ، هو أمنى وفكرى وإصلاحى وسياسى ، ونحن لا نطالب بعمل استثنائى ، فالمجتمع الصالح القائم على الحرية والعدل هو هدف كل دولة صالحة .

٢٠ / ١٠ / ١٩٩٤

توترات مرضية (*)

أين المناقشة التى تنتهى كما تبدأ فى موضوعية وهدوء ومحافظة على احترام الرأى الآخر ؟

ما أستطيع متابعته من مناقشات فى الأدب أو السياسة أو الفكر يتسم بطابع غالب ، هو طابع الحِدَّة والعُنف ، وسرعان ما تتحول المناقشة من مناقشة إلى معركة ، وينتقل المؤتمر من الموضوع إلى الذات ، وتتطاير الاتهامات فى الجو بحسب الظروف والأحوال ، فمن الجهل والتأخر وضيق الأفق إلى التقليد الأعمى والكفر ، والخروج على القيم الفاضلة ، وقد لا يخلو الأَمْرُ من غَمْزٍ ولَمْزٍ ، وتلويح بما يمس الشرف والذمة والأمانة الوطنية ، ويظل موضوع الخلاف الأصلى فى زاوية النسيان ، أو يمر عليه مَرًّا طفيفًا لا يكون عادة إلا للهوامش .

الحق أن الصدور أصبحت تضيق بالمناقشة ولا تطيق الرأى الآخر ، ولا تتسع لأى نوع من التفاهم أو التسامح ، كَأَنَّ كل صاحب رأى يرى ذاته سلطة يجب أن تكون فوق كل سلطان وفوق كل رأى ، وأنه لا يصح لمن يتعرض لها من قريب أو بعيد أن يمضى بسلام ودون عقاب شديد .

(*) كتب أديبنا الكبير أيضًا « وجهة النظر » هذه قبل أيام من حادث الاعتداء الآثِم الذى تعرض له .

إن جو الإرهاب يتفشى فى الأدب والفكر والجدل ، وإن اختلفت الوسائل والأهداف ، لذلك يتحمس كثيرون للحرية ، لا باعتبارها قيمة إنسانية شاملة ، ولكن باعتبارها وسيلة لتحقيق دولتهم وعقائدهم ، وإلاَّ فهم على أتم الاستعداد للانقلاب عليها وتكبيلها .

حقًّا لقد آذَتْنَا المعاشرة الطويلة للنظم الشمولية ، ويلزمنا إنقاذ روحى عميق .

٢٧ / ١٠ / ١٩٩٤

أعمال الكاتب

أعماله بالعربية :

ـ الروايـــة :

١ ـ عبث الأقدار ١٩٣٩ .

٢ ـ رادوبيس ١٩٤٣ .

٣ ـ كفاح طيبة ١٩٤٤ .

٤ ـ القاهرة الجديدة ١٩٤٥ .

٥ ـ خان الخليلى ١٩٤٦ .

٦ ـ زقاق المدق ١٩٤٧ .

٧ ـ السراب ١٩٤٨ .

٨ ـ بداية ونهاية ١٩٤٩ .

٩ ـ بين القصرين ١٩٥٦ .

١٠ ـ قصر الشوق ١٩٥٧ .

١١ ـ السكرية ١٩٥٧ .

١٢ ـ أولاد حارتنا ١٩٦٠ .

١٣ ـ اللص والكلاب ١٩٦١ .
١٤ ـ السمان والخريف ١٩٦٢ .
١٥ ـ الطريق ١٩٦٤ .
١٦ ـ الشحاذ ١٩٦٥ .
١٧ ـ ثرثرة فوق النيل ١٩٦٦ .
١٨ ـ ميرامار ١٩٦٧ .
١٩ ـ المرايا ١٩٧٢ .
٢٠ ـ الحب تحت المطر ١٩٧٣ .
٢١ ـ الكرنك ١٩٧٤ .
٢٢ ـ حكايات حارتنا ١٩٧٥ .
٢٣ ـ قلب الليل ١٩٧٥ .
٢٤ ـ حضرة المحترم ١٩٧٥ .
٢٥ ـ ملحمة الحرافيش ١٩٧٧ .
٢٦ ـ عصر الحب ١٩٨٠ .
٢٧ ـ أفراح القبة ١٩٨١ .
٢٨ ـ ليالى ألف ليلة ١٩٨٢ .
٢٩ ـ الباقى من الزمن ساعة ١٩٨٢ .
٣٠ ـ رحلة ابن فطوطة ١٩٨٣ .

٣١ ـ العائش فى الحقيقة ١٩٨٥ .
٣٢ ـ يوم قتل الزعيم ١٩٨٥ .
٣٣ ـ حديث الصباح والمساء ١٩٨٧ .
٣٤ ـ قشتمر ١٩٨٨ .

القصص القصيرة :

٣٥ ـ همس الجنون ١٩٣٨ .
٣٦ ـ دنيا الله ١٩٦٣ .
٣٧ ـ بيت سيئ السمعة ١٩٦٥ .
٣٨ ـ خمارة القط الأسود ١٩٦٩ .
٣٩ ـ تحت المظلة ١٩٦٩ .
٤٠ ـ حكاية بلا بداية ولا نهاية ١٩٧١ .
٤١ ـ شهر العسل ١٩٧١ .
٤٢ ـ الجريمة ١٩٧٣ .
٤٣ ـ الحب فوق هضبة الهرم ١٩٧٩ .
٤٤ ـ الشيطان يعظ ١٩٧٩ .
٤٥ ـ رأيت فيما يرى النائم ١٩٨٢ .
٤٦ ـ التنظيم السرى ١٩٨٤ .
٤٧ ـ صباح الورد ١٩٨٧ .

٤٨ ـ الفجر الكاذب ١٩٨٩ .

٤٩ ـ القرار الأخير

الترجمات والحوارات :

٥٠ ـ مصر القديمة ١٩٣٢ .

٥١ ـ أمام العرش ١٩٨٣ .

(سيرة ذاتية) :

كتب للأطفال

٥٢ ـ أصداء السيرة الذاتية ١٩٩٥ .

٥٣ ـ عجائب الأقدار

المقالات :

٥٤ ـ حول الدين والديمقراطية .

٥٥ ـ حول الشباب والحرية .

٥٦ ـ حول الثقافة والتعليم .

٥٧ ـ حول التدين والتطرف .

٥٨ ـ حول العدل والعدالة .

٥٩ ـ حول التحرر والتقدم .

٦٠ ـ حول العلم والعمل .

٦١ ـ حول العرب والعروبة .

* وتنوى الدار المصرية اللبنانية ـ بإذن الله ـ مواصلة نشر مقالاته التى كان قد بدأها عام ١٩٣٤ ونُشرت فى المجلات والصحف المختلفة داخل وخارج مصر .

المسرحيات :

سبع مسرحيات من ذات الفصل الواحد ، خمس منها فى مجموعة «تحت المظلة » وهى :

٦٢ ـ يميت ويُحْيى .

٦٣ ـ التركة .

٦٤ ـ النجاة .

٦٥ ـ مشروع للمناقشة .

٦٦ ـ المهمة .

ومسرحيتان فى مجموعة « الشيطان يعظ » هما :

٦٧ ـ الجبل .

٦٨ ـ الشيطان يعظ .

* أعد مصطفى بهجت مصطفى المسرحيات الثلاث الأولى وحوّلها إلى العامية ، وأخرجها أحمد عبد الحليم على مسرح الجيب عام ١٩٦٩ بعنوان « تحت المظلة » .

الروايات والقصص التى أعدت للمسرح :

١ ـ زقاق المدق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٥٨ .

٢ ـ بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبد الرحيم الزرقانى ١٩٦٠ .

بداية ونهاية : إعداد أحمد عبد المعطى ، إخراج فتحى الحكيم ١٩٧٦ .

بداية ونهاية : إعداد أنور فتح الله ، إخراج عبد الغفار عودة ١٩٨٦ .

٣ ـ بين القصرين : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج صلاح منصور ١٩٦٠ .

٤ ـ قصر الشوق : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج كمال يس ١٩٦١ .

٥ ـ اللص والكلاب : إعداد أمينة الصاوى ، إخراج حمدى غيث ١٩٦٢ .

٦ ـ الجوع : إعداد فايز حلاوة و إخراجه (قهوة التوتة) ١٩٦٢ .

٧ ـ خان الخليلى : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٨٦٣ .

٨ ـ روض الفرج : إعداد صلاح طنطاوى ، إخراج حسين كمال ١٩٦٤ .

٩ ـ ميرامار : إعداد نجيب سرور و إخراجه ١٩٦٩ .

١٠ ـ القاهرة ٨٠ : إعداد سمير العصفورى و إخراجه ١٩٨٩ .

١١ ـ حارة العشاق إعداد أحمد عبد المعطى ، وإخراج أحمد هانى ١٩٨٩ .

السيناريوهات :

١ ـ المنتقم : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٧ .

٢ ـ عنتر وعبلة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٤٨ .

٣ ـ لك يوم يا ظالم : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إميل زولا «تريز راكان» ١٩٥١ .

٤ ـ ريا وسكينة : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٣ .

٥ ـ الوحش : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٤ .

٦ ـ جعلونى مجرماً : إخراج عاطف سالم ١٩٥٤ .

٧ ـ فتوات الحسينية : إخراج نيازى مصطفى ١٩٥٤ .

٨ ـ شباب امرأة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة أمين يوسف غراب ١٩٥٥ .

٩ ـ درب المهابيل : إخراج توفيق صالح ١٩٥٥ .

١٠ ـ النمرود : إخراج عاطف سالم ١٩٥٦ .

١١ ـ الفتوة : إخراج صلاح أبوسيف ١٩٥٧ .

١٢ ـ الطريق المسدود : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٨ .

١٣ ـ الهاربة : إخراج حسن رمزى ١٩٥٨ .

١٤ ـ أنا حرة : إخراج صلاح أبو سيف ، عن قصة إحسان عبد القدوس ١٩٥٩ .

١٥ ـ إحنا التلامذة : إخراج عاطف سالم ١٩٥٩ .

١٦ ـ بين السماء والأرض : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٥٩ .

١٧ ـ جميلة : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعى ١٩٥٩ .

١٨ ـ الناصر صلاح الدين : إخراج يوسف شاهين ، عن قصة يوسف السباعى ١٩٦٣ .

١٩ ـ ثمن الحرية : إخراج نور الدمرداش ١٩٦٥ .

٢٠ ـ الاختيار : إخراج يوسف شاهين ١٩٧١ .

٢١ ـ دلال المصرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧١ .

٢٢ ـ ذات الوجهين : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .

٢٤ ـ المجرم : إخراج صلاح أبو سيف (لك يوم يا ظالم) ١٩٧٨ .

٢٥ ـ وكالة البلح : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٨٣ .

الروايات والقصص التى أعدت للسينما :

١ ـ بداية ونهاية : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٠ .

٢ ـ زقاق المدق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٣ .

٣ ـ اللص والكلاب : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٣ .

٤ ـ بين القصرين : إخراج حسن الإمام ١٩٦٤ .

٥ ـ الطريق : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٤ .

٦ ـ خان الخليلى : إخراج عاطف سالم ١٩٦٦ .

٧ ـ القاهرة ٣٠ : إخراج صلاح أبو سيف ١٩٦٦ .

٨ ـ قصر الشوق : إخراج حسن الإمام ١٩٦٧ .

٩ ـ السمان والخريف : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٦٨ .

١٠ ـ ميرامار : إخراج كمال الشيخ ١٩٦٩ .

١١ ـ السراب : إخراج أنور الشناوى ١٩٧٠ .

١٢ ـ ثرثرة فوق النيل : إخراج حسين كمال ١٩٧١ .

١٣ ـ صور ممنوعة : إخراج مدكور ثابت ، (من خمارة القط الأسود) ١٩٧٢ .

١٤ ـ السكرية : إخراج حسن الإمام ١٩٧٣ .

١٥ ـ الشحات : إخراج حسام الدين مصطفى ١٩٧٣ .

١٦ ـ أميرة حبى أنا : إخراج حسن الإمام ، (من المرايا) ١٩٧٤ .

١٧ ـ الكرنك : إخراج على بدرخان ١٩٧٥ .

١٨ ـ الحب تحت المطر : إخراج حسين كمال ١٩٧٥ .

١٩ ـ الشريدة : إخراج أشرف فهمى ، (من همس الجنون) ١٩٨٠ .

٢٠ ـ فتوات بولاق : إخراج يحيى العلمى ، (من حكايات حارتنا) ١٩٨١ .

المقاهى .. فى حياته :

١ ـ مقهى عرابى بالعباسية .

٢ ـ مقهى قشتمر بشارع الجيش .

٣ ـ مقهى الفيشاوى بالحسين .

٤ ـ مقهى زقاق المدق .

٥ ـ مقهى الفردوس .

٦ ـ مقهى ركسى .

٧ ـ مقهى لونابارك .

٨ ـ مقهى أحمد عبده بالحسين .

٩ ـ مقهى على بابا بالتحرير .

١٠ ـ مقهى ريش بالتحرير .

١١ ـ كازينو قصر النيل .

١٢ ـ كازينو كليوباترا .

١٣ ـ مقهى ديليسبس بالإسكندرية .

١٤ ـ كازينو بترو بسيدى بشر .

١٥ ـ كازينو ميرامار بالإسكندرية .

١٦ ـ كازينو سان استيفانو .

كتبه .. مترجمة إلى اللغات الأخرى

١ ـ همس الجنون	ق . المنصور	بيروت	١٩٦٠ .
٢ ـ الزعبلاوى	صفية ربيع	جامعة القاهرة	١٩٦٢ .
٣ ـ دنيا الله	روجر السن	دورية أمريكية	١٩٦٤ .
٤ ـ زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	جامعة ميتشجان	١٩٦٦ .
٥ ـ الزعبلاوى	نسيم رجوان	دورية بريطانية	١٩٦٧ .
٦ ـ الزعبلاوى	دنيس جونسون	جامعة أكسفورد	١٩٦٧ .
٧ ـ قصص قصيرة	محمود المنزلاوى	جامعة الإسكندرية	١٩٦٨ .
٨ ـ دنيا الله	محمود المنزلاوى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٦٨ .
٩ ـ دنيا الله	روجر السن	دار أمريكية	١٩٧٣ .
١٠ ـ القصص القصيرة	جوزيف أولين	جامعة بيروت	١٩٧٣ .
١١ ـ زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	لندن	١٩٧٥ .
١٢ ـ تحت المظلة	دينيس جونسون	لندن	١٩٧٦ .
١٣ ـ المرايا	روجر السن	دار أمريكية	١٩٧٧ .
١٤ ـ خمارة القط الأسود	سعد الجبلاوى	كندا	١٩٧٧ .
١٥ ـ ميرامار	فاطمة مرسى	لندن	١٩٧٨ .

١٦ ـ اللص والكلاب	تريفور لوجاسيك	الجامعة الأمريكية	١٩٨٤ .
١٧ ـ أفراح القبة	أوليف كينسى	الجامعة الأمريكية	١٩٨٤ .
١٨ ـ السمان والخريف	روجر السن	الجامعة الأمريكية	١٩٨٥ .
١٩ ـ بداية ونهاية	رمسيس عوض	الجامعة الأمريكية	١٩٨٥ .
٢٠ ـ الشحات	كريستين وكرهنرى	الجامعة الأمريكية	١٩٨٦ .
٢١ ـ حضرة المحترم	رشيد العنانى	لندن ونيويورك	١٩٨٦ .
٢٢ ـ حضرة المحترم	رشيد العنانى	الجامعة الأمريكية	١٩٨٧ .
٢٣ ـ الطريق	محمد إسلام	الجامعة الأمريكية	١٩٨٧ .
٢٤ ـ اللص والكلاب	عادل إلياس	جدة	١٩٨٧ .
٢٥ ـ حكايات حارتنا	سعاد صبحى	واشنطن	١٩٨٨ .

كتب عربية .. عن حياته وأعماله

١ ـ قضيته الشكل الفنى	د . نبيل راغب	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٦٧
٢ ـ المنتمى	د . غالى شكرى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٦٧
٣ ـ تأملات فى عالم محفوظ	محمود أمين العالم	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٠
٤ ـ مع نجيب محفوظ	أحمد محمد عطية	دمشق	١٩٧١ .
٥ ـ الإسلامية فى أدب محفوظ	د . محمد حسن عبدالله	الكويت	١٩٧٢ .
٦ ـ الله فى رحلة محفوظ	جورج طرابيشى	بيروت	١٩٧٣ .
٧ ـ قراءة الرواية فى عالم محفوظ	د . محمود الربيعى	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٤ .
٨ ـ دراسة فى أدب محفوظ	د . رجاء عيد		١٩٧٤ .
٩ ـ محفوظ على الشاشة	هاشم النحاس	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٧٥ .
١٠ ـ الرؤية والأداة	د . عبد المحسن طه بدر	دار المعارف (القاهرة)	١٩٧٨ .
١١ ـ العالم الروائى عند محفوظ	إبراهيم فتحى	دار الفكر المعاصر (القاهرة)	١٩٧٨ .
١٢ ـ نجيب محفوظ	د . على شلش	بيروت	١٩٧٩ .
١٣ ـ الروائيون الثلاثة	يوسف الشارونى	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٠ .
١٤ ـ ثلاثية نجيب محفوظ	جاك جومييه	بيروت	١٩٨٠ .
١٥ ـ الرمزية فى أدب محفوظ	د . فاطمة الزهراء سعيد	بيروت	١٩٨١ .
١٦ ـ دنيا نجيب محفوظ	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٨٢ .
١٧ ـ قصة الأجيال	د . ناجى نجيب	المكتبة الثقافية (القاهرة)	١٩٨٢ .
١٨ ـ أدب نجيب محفوظ	ساسون سوميخ	عكا	١٩٨٢ .
١٩ ـ بناء الرواية	د سيزا قاسم	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٤ .
٢٠ ـ محفوظ حياته وأعماله	نبيل فرج	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٦ .
٢١ ـ محفوظ يتذكر	جمال الغيطانى	أخبار اليوم (القاهرة)	١٩٨٧ .
٢٢ ـ الفن القصصى	يوسف نوفل	هيئة الكتاب (القاهرة)	١٩٨٨ .
٢٣ ـ عالم نجيب محفوظ	د . رشيد العنانى	الهلال (القاهرة)	١٩٨٨ .

كتب .. تضمنت فصولاً عنه

لطه حسين ـ عباس خضر ـ فؤاد درارة ـ على الراعى ـ جلال العشرى ـ رشاد رشدى ـ يوسف الشارونى ـ غالى شكرى ـ صلاح عبد الصبور ـ لويس عوض ـ شكرى عياد ـ سيد قطب ـ أنور المعداوى ـ محمد مندور ـ فاروق منيب ـ رجاء النقاش ـ حسن البندارى-فتحى العشرى .

كتب أجنبية..عن أعماله

١ ـ زقاق المدق	تريفور لوجاسيك	بيروت	١٩٦٦ .
٢ ـ عالم محفوظ	عادل إلياس	الأنجلو (القاهرة)	١٩٧٢ .
٣ ـ دنيا محفوظ	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٧٢ .
٤ ـ المرايا	روجر السن	أمريكا	١٩٧٢ .
٥ ـ روايات محفوظ	ساسون سوميخ	هولندا	١٩٧٣ .
٦ ـ الرواية المصرية	هيلارى كيلبا تريك	لندن	١٩٧٤ .
٧ ـ الكرنك	سعد الجبلاوى	كندا	١٩٧٩ .
٨ ـ حكايات حارتنا	ساسون سوميخ	تل أبيب	١٩٨٠ .
٩ ـ أولاد حارتنا	فيليب ستيورات	لندن	١٩٨١ .
١٠ ـ الرواية المصرية	على جاد	لندن	١٩٨٣ .
١١ ـ أعمال محفوظ	بيليد ماتينياهو	نيوجرسى	١٩٨٣ .

دراسات أجنبية .. عن أعماله

١ ـ دنيا الله	روجر السن	دورية أمريكية	١٩٦٤ .
٢ ـ الروايات والقصص	مناحم ميسون	هولندا	١٩٧٠ .
٣ ـ الزعبلاوى	ساسون سوميخ	هولندا	١٩٧٠ .
٤ ـ أولاد حارتنا	فاتيكيوتس	بريطانيا	١٩٧١ .
٥ ـ المرايا	روجر السن	دورية أمريكية	١٩٧٢ .
٦ ـ المرايا	روجر السن	دورية أمريكية	١٩٧٣ .
٧ ـ نجيب محفوظ	منى نجيب ميخائيل	هولندا	١٩٧٤ .
٨ ـ الأدب العربى	ر. س . أوستيل	لندن	١٩٧٥ .
٩ ـ الرواية المصرية	صبرى حافظ	هولندا	١٩٧٦ .
١٠ ـ بين القصرين	حسن الشامى	أميريكا	١٩٧٦ .
١١ ـ زقاق المدق	فاطمة موسى	لندن	١٩٧٦ .
١٢ ـ النساء عند محفوظ	اكسيفير فرانسيس	هولندا	١٩٧٧ .
١٣ ـ الكرنك	تريفور لوجاسيك	واشنطن	١٩٧٧ .
١٤ ـ المجتمع الإسلامى	جابر ايبل مائير	هولندا	١٩٨٤ .
١٥ ـ أولاد حارتنا	جرير أبو حيدر	هولندا	١٩٨٥ .

رسائل جامعية .. عنه

١ ـ ماجستير	أولاد حارتنا	فيليب ستيورات	أكسفورد	١٩٦٣ .
٢ ـ دكتوراه	الأعمال الأدبية	بيليد ماتينياهو	كاليفورنيا	١٩٧١ .
٣ ـ دكتوراه	الروايات	اكسفيرفرانسيس	كولومبيا	١٩٧٢ .
٤ ـ دكتوراه	أدبه	منى نجيب ميخائيل	متشجان	١٩٧٢ .
٥ ـ دكتوراه	الرواية المصرية	على جاد	أكسفورد	١٩٧٤ .
٦ ـ دكتوراه	الأدب العربى	ر . س . أوستيل	لندن	١٩٧٥ .
٧ ـ دكتوراه	اللص والكلاب	عادل إلياس	أوكلاهوما	١٩٧٩ .
٨ ـ دكتوراه	التجديد والتقليد	عبد الوهاب الحاكمى	آلستر	١٩٧٩ .
٩ ـ دكتوراه	أهل القاهرة	سمير مصطفى	ألينويز	١٩٨٠ .
١٠ ـ دكتوراه	الواقعية	عدنان الوزان	أدنبرة	١٩٨١ .
١١ ـ دكتوراه	الموت	أحمد الروبى	متشجان	١٩٨٢ .
١٢ ـ دكتوراه	أدبه	محمد محمود	أكسفورد	١٩٨٢ .
١٣ ـ ماجستير	السلطة	ريتشارد كينيث	أريزونا	١٩٨٤ .
١٤ ـ دكتوراه	الروايات التاريخية	حسين يوسف حسين	أدنبرة	١٩٨٤ .
١٥ ـ دكتوراه	دراسة مقارنة	أ . البسام	آلستر	١٩٨٤ .
١٦ ـ دكتوراه	حضرة المحترم	رشيد الغسانى	آلستر	١٩٨٤ .
١٧ ـ دكتوراه	العبثية	منى شفيق فايد	ألينويز	١٩٨٤ .
١٨ ـ دكتوراه	بين القصرين	سعاد فطيم	آلستر	١٩٨٧ .
١٩ ـ ماجستير	زقاق المدق	سميحة صليب	كونيتيكيت	١٩٨٨ .